تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

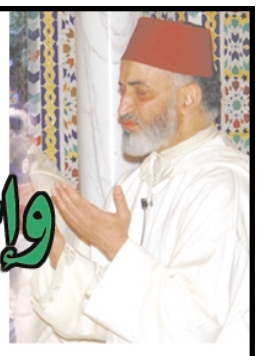

معارج الصلاة وإخراج الإنسان الكوني

د. فريد الأنصاري ص : 4

الدعوة بين الإعلام المجهض والإعلام المنهض

ذ. المفضل فلواتي ص : 2

البريد الإلكتروني : almahajja@maktoob.com
almahajjafes@gmail.com

المحجة

العدد : 336

جامعة نصف شهرية

الثمن : 3 دراهم

■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي

29 ربيع الأول 1431هـ - 16 مارس 2010م

القيم الديني
أي تكوين لأية رسالة؟

العلامة عبد الحي عمور

د. الشاهد البوشيخي

د. عبد الحميد العلمي

د. عبد الحق ابن المجذوب الحسني

د. الحسين گنوان

د. محمد أبياط

رسالة القيم الديني | مقدمات ممهدات | التكوين المنهجي | خلق القيم الديني | التكوين اللساني | التكوين العلمي

الدعوة بين الإعلام المُجْهض والإعلام المُنهض

مَفْهوم الإعْلام :

الإعـلامُ -ببـسـاطة- هو : توصـيلُ المعلومة التي تراها ذَاتَ أهمية إلى المَعْنِيِّ بها ليعْمَل بها، أو لتترسَّخَ في أعْماق نفْسه فتصبح جُزءاً أساسياً من كيانه، على ضَوْئه يَسيرُ، وفي سبيله يجاهدُ.

والوحيُ في حقيقته إعلامٌ من الله تعالى لرسُله بأن يتديَّنُوا بالدِّين المُوحى به إليْهِمْ، ويبلِّغُوه للناس ليتديَّنُوا به تطوُّعا واختياراً مُقَابِلَ المَثُوبَةِ في الدُّنيا والأُخرى.

فما معنى ﴿**وأوحيْنَا إلى أمِّ مُوسَى أنْ أرْضعيه فإذا خفْت عليه فألْقيه في اليَمِّ ولا تَخَافي ولاَ تَحْزَنِي إنَّا رَادُّوه إلَيْكِ وجَاعِلُوهُ من المُرْسَلِينَ**﴾(القصص : 6).

معناه : إخبارُ أُمِّ موسى بالخطَّة التي عَلَيْهَا أن تتَّبعَهَا لتُنْجيَ ولَدَهَا مِنْ ملاحَقَةِ فرعَوْن وأتباعه لكل المواليد الذُّكور.

أهَمِّيَّةُ الإعْلاَم :

أهميتُهُ تتجلَّى في عدة ميادين :

1- أنَّهُ يُوضِّحُ فكْرَةَ الخطَّة التي تسيرُ عليها الدَّولةُ أو الأمَّةُ أو المجتمع.

2- أنَّهُ يُحَمِّسُ أفرادَ الأمة أو الدَّولة للنُّهُوض بالفكرة أو الخطة اقتناعا وإيماناً بها.

3- أنه يبيِّن للأفراد ثَمرات ونتائجَ التنفيذ للفكرة أو الخُطَّة بكلِّ حرية واقتناعٍ، ويبيِّنُ أيضاً عواقبَ النكُوص والارتدَادِ عن الخُطة، أو مُحَاربتها ومُعَاكَسَتها.

4- أنه هو الذي يتولَّى الدفاعَ عن الفكرة أو الخطة بكل الحُجَج والبراهين حتى لا يُؤَثِّرَ الأعْدَاءُ للفكرة في مُعْتَنقيها والمومنين بها فيرتدُّوا على أدبَارهم خَاسئين خائبين فاشلين.

ميَادينُ الإعْلاَمِ الإسْلاَمِيِّ :

ميادينه متعدِّدَة تشمل :

1- المعْبُودَ في الإسلام مَنْ هُوَ؟! وإذا كان المعبودُ هو اللهَ عَزَّ وجَلَّ فلماذا يَسْتَحقُّ أن يُعْبَدَ وَحْدَه؟! وإذا كان هناك مَنْ يُشْرِكُ مع الله شيئاً في العبادة فهل يُعْتَبرُ ذلك صاحب عَقْلٍ مُعْتَبر؟! وصاحبَ فطرة سليمة؟! وما دليلُ فَسَاد عقله وفساد فطرته؟! وما عاقبةُ هذا الفاسد المفْسد؟! وما خطرهُ على نفسه ومجتمعه وأمَّته وبيْئَته؟!...

2- وتشمل توضيح دور الإنسان في هذه الحياة؟! وما جزاؤُه إن قام بدَوْره أحسن قيام، وجزاؤُه إن خان الأمانة؟!

3- وتشمل توضيح حِكْمةِ إنزال الكتُب، وحكمة بعثة الرسُل.

4- وتشمل توضيح العلاقة التي ينبغي أن تكون بين المومنين فيما بينهم، والعلاقة التي ينبغي أن تكون بين المومنين وغيرهم في حالتَيْ السِّلم والحَرْب.

5- وتشمل توضيحَ المحبة التي يجبُ أن تكون لله وللرسول وللدِّين وللجنَّة، وتوضيحَ البُغْض الذي يجبُ أن يكون للكُفْرِ وللنار ولأعداء الله والرسول والدين.

6- كما تشمَلُ توضيحَ الأولويات في الدِّين، ومن أينَ ينبغي البدْءُ في الدَّعوة، وكيف يُتَدَرَّجُ بالمَدْعُوِّينَ حتى يصلوا إلى ما قَدَّر الله لهُمْ أن يصلوا إليه من الكمال، وتوضيحَ الأولويات في المَدْعُوِّين، فالفردُ أولا، والأسرة ثانيا، والجيران والأقربون ثالثا، والمجتمع رابعا... وتوضيحَ الأوليات في النوعية الإنسانية فالسَّليمُ الفطرة النجيبُ الذكيُّ المثقَّفُ أولا، لأنَّ الدعوة تحتاج إلى الرَّواحل.

أمَّا المُلوَّثُو الفطرة خُلُقاً، أو غنًى مُتَبطِّراً، أو سلْطةً مُعْوجَّة باطشةً، أو ثقافة مَسْمُومةً، أو أدْلجَةً حزْبيَّةً مُضَادَّةً، أو تَمَذْهُباً عُنْصرياً مَقيتاً... فهؤلاء كلُّهُمْ لا تَضْييعَ للْوَقْت مَعَهُم، لأنهم ليسُوا من المُؤهَّلين ليكونوا من السابقين، فهؤلاء لا يقتنعُون -إنْ قُدِّرَ لَهُمْ أن يقْتَنعُوا- إلا عندما يغمُرُهُمْ بَحْرُ الدعوة بأمواجه الزاَّخرة الهادرة، وإلاَّ وقَفُوا في الصَّفِّ الآخَر.

7- كما تشمل الحَثَّ على الدعوة العامة والخاصة لتخليص الإنسان من ربْقَة الاستعباد البشَريِّ والحجريِّ والطينِي وجَعْله حُراً يسبَحُ في ملَكُوت الأنوار الربانية.

إنها ميادين لا عَدَّ لها ولا حَصْر، لشموليتها وتنوعها بحسب أنواع جيمع النشاطات الحياتية، والجزاءات الدنيوية والأخروية.

بعض النمَّاذج الموضِّحَةِ للميادين الدَّعَويَّة :

1- في ميدان الحث على القيام بالدعوة :

﴿**ومَنْ أحْسنُ قولاً ممَّنْ دعا إلى الله وعَملَ صالحاً وقال : إنَّني منَ المُسْلمينَ**﴾(فصلت : 32)، ﴿**ادْعُ إلى سَبيل ربِّك بالحكْمَة والمَوْعظَة الحَسَنَة وجادلْهُمْ بالتي هيَ أحْسَنُ**﴾(النحل : 125)

2- في ميدانِ المُحَافَظَةِ على اسْتقْرار المجتمع ونظافته:

﴿**إن الذين يحبُّون أن تشيعَ الفاحشة في الذين آمَنُوا لَهُمْ عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة واللَّهُ يَعْلَمُ وأنتُمْ لا تعْلَمُون**﴾(النور : 19)

﴿**والذين يُؤذُونَ المومنين والمُومنات بغَيْر ما اكتسَبُوا فقد احتمَلُوا بهتاناً وإثْماً مُبيناً**﴾(الأحزاب : 58)

﴿**إن الذينَ يَرْمُون المُحْصَنَات الغافلاَت المُومنات لُعنُوا في الدُّنيَا والآخَرَة ولَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عليْهِمْ ألْسنَتُهُمْ وأيْديهِمْ وأرجُلُهُم بما كَانُوا يعْمَلُونَ**﴾(النور : 24)

3- في ميدان العلاقات الأُخَويَّةِ بيْنَ أفْراد المجْتَمع :

﴿**إنَّمَا المُومنُونَ إخوَةٌ فأصْلحُوا بيْنَ أخَوَيكُمْ واتَّقُوا اللَّهَ لعلَّكُمْ تُرحَمُون يا أيُّهَا الذين آمَنُوا لا يَسْخر قَوْمٌ منْ قَوْمٍ عسى أنْ يَكُونُوا خَيْراً منْهُمْ ولا نسَاءٌ من نسَاء عسى أن يَكُنَّ خَيْراً منْهُنَّ ولا تَلْمزُوا أنْفُسَكُمْ ولا تَنَابَزُوا بالألْقَاب بئسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بعد الإيمان ومَنْ لَمْ يَتُبْ فأولئكَ هُمُ الظَّالمُونَ يا أيُّهَا الذين آمَنُوا اجْتَنبُوا كَثيراً من الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ولا تجَسَّسُوا ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً...**﴾(12-11-10 الحجرات)

4- في ميدان العلاقات مع أعْداءِ الملة :

﴿**يا أيُّها الذين آمَنُوا لا تَتَّخذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أولياءَ**﴾(الممتحنة : 1)

﴿**يا أيُّها الذين آمَنُوا لا تتَّخذوا اليَهُودَ والنَّصَارى أولياءَ بعْضُهُمْ أولياءُ بَعْض ومَنْ يتَولَّهُمْ منْكُمْ فإنَّهُ منْهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يهْدي القَوْمَ الظَّالمينَ**﴾(المائدة : 53)

﴿**مَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا من أهْل الكتَاب ولاَ المُشركينَ أن يُنَزَّلَ عليْكُم من خَيْرٍ منْ ربِّكُمْ**﴾(البقرة : 104)

﴿**إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يرْقُبُوا فيكمْ إلاً ولا ذمَّةً**﴾(التوبة : 8)

﴿**لا تَجدُ قَوْماً يُومنُونَ باللَّه واليَوْم الآخر يُوَادُّون منْ حادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كانُوا آباءَهُم أوْ أبْنَاءَهُم أوإخْوَانَهُمْ أوْ عشيرَتَهُمْ**﴾(المجادلة : 21)

5- في ميدان العلاقات مع المُسَالمين منْ خارج الملَّة :

﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عن الذين لَمْ يُقَاتلُوكُمْ في الدِّين ولمْ يُخرجُوكم منْ ديَاركُمْ أنْ تَبرُّوهُم وتُقْسطُوا إليْهِمْ إنَّ اللَّهَ يُحبُّ المُقْسطينَ إنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عن الذين قَاتَلُوكُمْ في الدِّين وأخْرَجُوكُم منْ ديَاركُمْ وظَاهرُوا على إخْرَاجكُمْ أنْ تولَّوْهُمْ**﴾(الممتحنة : 9)

﴿**ولا تُجَادلُوا أهْلَ الكتاب إلاَّ بالتي هي أحْسَنُ**﴾(العنكبوت: 46)

﴿**وإذَا سَمعُوا اللَّغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وقالُوا لنا أعْمَالُنا ولَكُمْ أعْمَالُكُمْ سلاَمٌ عليْكُمْ لا نَبْتَغي الجاهلينَ**﴾(القصص : 55)

﴿**وقُولُوا للنَّاس حُسناً**﴾(البقرة : 82)

﴿**ادْفَعْ بالتي هيَ أحْسَنُ فإذا الذي بيْنَكَ وبيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأنَّهُ وليٌّ حَميمٌ**﴾(فصلت : 33)

ميادين الإعلام الهَابِط :

بما أن الإنسانَ الهابط يعيشُ بدون رسالة، ولا طُمُوح يسْمُو فوق الرغبات البشرية البسيطة، من أكْل وشُرْبٍ ولباسٍ وجنسٍ، لا يفكِّر في رسَالة علمية، ولا رسالة إصلاحية، ولا رسالة اجتماعية، ولا رسالة حضارية، فهمَتُهُ التُّرابُ، وعقْلُهُ لا يفكر إلا في التراب، إذا تولى مسؤولية كان كالذِّئْب الجائع الذي أؤتُمن على رعَاية قطيع من الغنم، وإذا امتلك شيْئاً من المال عَمل على استعباد المُستضْعفين بذلك المال ليزْداد ثراءً ويزْدَادُوا ألما وحرْمانا، وإذا ارتقَى منصبا سياسياً عاليا طَغَى وتجبَّر، فهو عبدُ الذات، عَبْدُ الهَوى، عبْدُ المادَّة، من الذين قال فيهم تعالى : ﴿**ألْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حتَّى زُرْتُم المَقَابرَ**﴾(التكاثر: 1)

ومن الذين قال فيهم رسول الله ﷺ "تَعسَ عَبْدُ الدِّينَار والدِّرْهَم والقَطيفَة والخَميصَة إنْ أُعطيَ رضيَ وإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ تعسَ وانْتَكَس، وإذا شيكَ انْتَقَشَ"(البخاري)

إنسان لا تسمو همَّتُه فوق التراب كيف يكونُ إعلامُهُ؟! لا يكون إعلامه إلا غارقاً في المُلْهيات، والحزْبيات المتصارعة على مناصب الدنيا، وغارقا في الانْبطاح لأصحاب السُّلطة والمال، وغارقاً في خداع الشعوب والجماهير بالمشاريع الوهمية والفُتاتيَّة التي لا تُسْمنُ ولا تُغْني من جوع. ولا تعَبِّئُ شعباً لنيل المعالي، ولا تُجنِّدُ طاقةً لاختراق آفاقِ الابتكارات الحضارية الرائعة.

ولهذا استحقَّ هذا الإنسانُ أن يدْعُوَ عليه الرسولُ ﷺ بالتعاسة الدائمة، والانتكاسة المستمرة، لأن عبد الدنيا في سقوط دائم، كلَّمَا أفاقَ سقَطَ، وكلَّما نهض تعثَّر، فهو من سكرته بالدنيا قلَّما يُفيقُ، وإذا أفاق لا يفيق إلا على قارعة وقعُها شديدٌ، تَهُزُّهُ هزا عنيفاً (إنَّهُمْ لفي سَكْرَتهم يعْمَهُونَ)(الحجر : 72)

إذا ذكَّرتَ هذا الإنسان الهابط بالرسالة السماوية نفَرَ منك نفُوراً شديداً، وكادَ لكَ كيْداً عظيماً، فهذا النوع الهابط النافرُ من الدَّاعي له للخيْر المُنْجي شبَّهَهُ الله تعالى بالحيوان الذي لا يَعْقلُ، فقال في المعرضين ﴿**فمَالَهُمْ عن التذكرَة مُعْرضينَ كأنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفرَةٌ فرَّتْ منْ قَسْوَرَةٍ**﴾(المدثر: 51).

أي هؤلاء السكارى بحبِّ الدنيا تائهون شاردُون كالحُمُر التي بمجرَّد ما ترى الأسَدَ أو الصَّيَّاد تفرُّ منه خوفا من الهلاك وهؤلاء بمجرد ما يسمعونَ أوْ يرَوْنَ محمدا ﷺ يَدْعوهم حتى يُسرِعُوا في الهَرَب والنفور من الهُدى المُصلحِ لهم إلى الضلال المُهْلك لهم، والحيوانُ في هذا التشبيه أحْسَنُ حالاً لأنه يهْرُبُ من الهلاك للنجاة، وهم يهربُون من النجاة للهلاك. فَمَنْ أحَطُّ قدراً؟ الحيوانُ غيرُ العاقل أم الكافرُ الجاهل؟!

ذ. المفضل فلواتي

إعلان

استئناف دروس الهدى المنهاجي
لفضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي

استأنف الدكتور الشاهد البوشيخي سلسلة دروس :
"نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم
من خلال السور حسب ترتيب النزول".

وبذلك بمسجد البركة بحي الأدارسة بفاس.
وسيكون موعد الجمهور الكريم مع الهدى المنهاجي في سورة "القدر" يوم الجمعة 11 ربيع الثاني 1431هـ الموافق لـ 26 مارس 2010م بعد صلاة المغرب مباشرة بحول الله وقوته.

جريدة المحجة
■ المدير المسؤول : المفضل فلواتي
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

وفاة شيخ الأزهر بأزمة قلبية في السعودية

أعلنت وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية الرسمية وفاة شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي بأزمة قلبية في السعودية.

وقالت الوكالة أن شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي توفي يوم الأربعاء 10 مارس 2010م في العاصمة السعودية الرياض إثر أزمة قلبية مفاجئة".

وقالت الوكالة إن شيخ الازهر "وصل الى الرياض امس للمشاركة في حفل توزيع جوائز الملك فيصل العالمية".

عودة فضيلة الشيخ القرضاوي من الرياض بعد عمليتين ناجحتين

عاد فضيلة الشيخ القرضاوي -بحمد الله وفضله- إلى الدوحة، بعد أن أجرى عمليتين ناجحتين، وعدة فحوص طبية مطمئنة، في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض.

وقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، بتوفير كل أسباب الراحة والعناية بفضيلة الشيخ القرضاوي من وقت وصوله إلى مغادرته.

وقد أشرف الطبيب السعودي البارع الاستشاري د. خالد العثمان، وزملاؤه حفظهم الله على تطبيب الشيخ القرضاوي.

وخلال مقامه بالمستشفى تعاقب على زيارة الشيخ القرضاوي عدد كبير من الشخصيات الرسمية من الأمراء والوزراء والأعيان والعلماء والأدباء وأهل الفضل والخير، وبسبب ذلك الإقبال الكبير، تحولت غرفة الشيخ القرضاوي في أيامه الأخيرة بالمستشفى إلى صالون ثقافي، يؤمه الأمراء والعلماء والأدباء وكبار المسؤولين وعموم المسلمين، بهدف الاطمئنان على صحة الشيخ والسلام عليه، والحوار حول قضايا الأمة الإسلامية، واستفتاء الشيخ في بعض المسائل الدينية المختلفة.

وقد وجه فضيلة الشيخ رسالة شكر لخادم الحرمين، والأطباء والعاملين بالمستشفى، ولكل من الدكتور محمد أحمد الصالح والدكتور محمد أحمد الرشيد، ويشكر فضيلة الشيخ القرضاوي كل إخوانه وتلاميذه ومحبيه في قطر والسعودية والخليج خاصة، وفي بلاد الدنيا عامة، الذين سألوا عنه، ودعوا له، واهتموا لأمره، جزاهم الله خيرا.

محافظات مصر تنتفض نصرة للمسجد الأقصى

عاشت العديد من مدن وقرى مصر أمس يوماً تاريخياً حيث عمت المظاهرات المناصرة للمسجد الأقصى والمنددة بتخاذل الحكام العرب الميادين وساحات المساجد.

شاركت الأمهات والفتيات والشيوخ في المظاهرات العارمة والتي كشفت النقاب عن القدرة الفائقة لجماعة الإخوان المسلمين في تعبئة الشارع المصري عبر تنظيم دقيق أذهل أجهزة الأمن لتؤكد أن مختلف الضربات والإعتقالات التي تعرضت لها كوادرها لم تؤثر على بنيان الجماعة..

فشلت الذراع الطولى للشرطة في إرهاب المواطنين ووصل الأمر لحد استخدام إحدى السيارات في دهس المتظاهرين في أحد شوارع مدن الدلتا كما أكدت مصادر الجماعة في الإسكندرية.

في محافظة الدقهلية أحد أكثر محافظات مصر كثافة سكانية خرج عشرات الآلاف يلبون نداء المقدسيين حيث انطلقت العديد من الوقفات الحاشدة التي نظّمها الإخوان المسلمون اتساقاً مع الغضب الشعبي تجاه الممارسات الصهيونية.

الجيش الاسرائيلي استخدم طفلا فلسطينيا خلال حرب غزة لفتح حقائب اشتبه بأنها مفخخة

تل ابيب - يو بي اي: قدمت النيابة العسكرية الاسرائيلية امس الخميس لائحة اتهام ضد جنديين اسرائيليين لاستخدامهما طفلا فلسطينيا لفتح حقائب اشتبها بأنها مفخخة خلال الحرب على غزة مطلع العام الماضي.

وذكرت وسائل الاعلام الاسرائيلية ان الجنديين ارغما الطفل الفلسطيني على فتح عدد من الحقائب التي اشتبها بانها مفخخة.

وستتم محاكمة الجنديين اللذين يحمل كل منهما رتبة رقيب اول بتهمة مخالفة صلاحيتهما والسلوك غير المناسب.

ووقع الحدث خلال عمليات تفتيش نفذتها قوات تابعة للواء 'غفعاتي' في الجيش الاسرائيلي في حي تل الهوى في جنوب مدينة غزة في كانون الثاني (يناير) عام 2009.

وكانت الشرطة العسكرية الاسرائيلية قد فتحت تحقيقا بالقضية في شهر تموز (يوليو) الماضي بعد ان علمت حول الموضوع من تقرير مفوضية الامم المتحدة لشؤون الاطفال والنزاع المسلح وعلى اثر شكوى قدمها الفرع الاسرائيلي لحقوق الطفل.

الجدير بالذكر ان الجيش الاسرائيلي يرفض التحقيق في اتهامات تقرير غولدستون لاسرائيل بارتكاب جرائم حرب ضد الفلسطينيين خلال الحرب على غزة وبينها قتل مدنيين بشكل متعمد، وفي المقابل يدعي الجيش الاسرائيلي بانه يحقق بالعديد من الاحداث.

ومنذ نهاية الحرب على غزة وحتى اليوم حقق الجيش الاسرائيلي في عشرات الشكاوى لكنه ادان جنديا واحدا فقط بسرقة بطاقة اعتماد مصرفية من مواطن فلسطيني وحُكم عليه بالسجن سبعة شهور واليوم قدم لائحة الاتهام ضد الجنديين وهي قضايا تعتبر مخففة نسبيا مقارنة مع ما جاء في تقرير غولدستون.

"صنداي تايمز" تقول إن نتانياهو صادق بنفسه على عملية اغتيال المبحوح

أ ف ب - افادت صحيفة "صنداي تايمز" البريطانية الأحد أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو التقى اعضاء فرقة الكوماندوس في مقر الموساد قبيل توجهها الى دبي لقتل القيادي في حماس محمود المبحوح الشهر الماضي.

وقالت الصحيفة نقلا عن مصادر مطلعة على شؤون الموساد بدون ان تكشف اسمها ان رئيس الموساد مئير داغان استقبل نتانياهو في مقر جهاز الاستخبارات الاسرائيلي وأطلعه على المخططات لقتل المبحوح.

وأشارت الصحيفة إلى أن رئيس الوزراء أعطى موافقته على "المهمة التي لم تعتبر خطرة او معقدة".

وقالت الصحيفة البريطانية "عادة في مثل هذه المناسبات يقول رئيس الوزراء أن شعب إسرائيل يثق بكم، حظا موفقا".

ونقلت الصحيفة ايضا عن احد المصادر قوله ان حروقا ناجمة عن مسدس صعق كهربائي ظهرت على جثة المبحوح وانه كان هناك أثار لنزيف في الأنف قد يكون نجم عن خنقه.

وأعلنت شرطة دبي أنه تتم ملاحقة 11 شخصا يحملون جوازات سفر أوروبية بينهم امرأة ضالعين في عملية الاغتيال هذه.

وكان قائد شرطة دبي الفريق ضاحي خلفان قال : "أن وقوف الموساد خلف القتل أكيد بنسبة 99 بالمئة ان لم يكن مئة بالمئة".

واوضح في تصريحات نشرت الأحد أن بعض الضالعين في اغتيال المبحوح استخدموا جوازات دبلوماسية مشيرا إلى أن أحد المقربين من المبحوح أدلى بمعلومات أساسية للقتلة.

وأثارت هذه العملية توترا دبلوماسيا بين اسرائيل وأربع دول أوروبية تم استخدام جوازات سفر تابعة لمواطنيها في العملية. وطلبت لندن ودبلن وباريس وبرلين توضيحات من سفراء إسرائيل في هذه العواصم حول استخدام جوازات سفر تلك الدول. وكان عثر على المبحوح الذي يعد أحد مؤسسي الجناح العسكري لحركة حماس التي تسيطر على قطاع غزة، ميتا في غرفته بفندق بدبي يوم 20 كانون الثاني/يناير الماضي.

ألم قلم

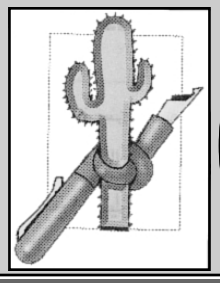

بين الرد السريع والرد المناسب

بعد أن أيد يوم الأربعاء الماضي 3 مارس 2010م مجلسُ وزراء الخارجية العرب قرار لجنة متابعة ما يسمّى بـ"مبادرة السلام العربية" بإعطاء الفرصة للمفاوضات غير المباشرة بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي لمدة أربعة أشهر، وبعد أن أعلن الكيان الصهيوني عن بناء مستوطنات جديدة في القدس كتب مراسل لإحدى الإذاعات المغربية في المنطقة ما مضمونه بأنه "في الوقت الذي يَمد فيه العرب أياديهم للإسرائليين طلبا للسلام، جاء الردّ السريع من اسرائيل، بالإعلان عن بِناء المآت من الوحدات الاستيطانية في شرق القدس والضفة الغربية..».

وفي الواقع استوقفتني هذه المراسلة، إذ أنه إذا كان رد قوات الاحتلال الصهيوني بالإعلان عن بناء وحدات استيطانية جديدة هو "رد سريع" على الإعلان عن المفاوضات غير المباشرة من الجانب العربي حيث إن هذا "الرد" بيّن بكل وضوح ولكل ذي عينين أن ما أُخذ بالقوة لا يمكن أن يسترجع بمفاوضات سلام، أو لنقل باستجداء السلام فمتى يأخذ العرب والمسلمون المبادرة برد مناسب وإن لم يكن سريعا على هذا الاستخفاف من قبل العدو.

في فترة أسبوع واحد، اقتحمت قوات الاحتلال الصهيونية باحات المسجد الأقصى ومن جميع أبوابه، وأغلقتها على المصلين و المعتصمين هناك وحاصرتهم، مستخدمة كل وسائل البطش والترويع والتهديد، ولما لم يحرك العرب والمسلمون ساكنا احتجاجا على ما وقع، بل تنادوا إلى استئناف مفاوضات ووصفوها بأنها غير مباشرة، أعلن الإسرائيليون عن انفتاح شهيتهم التي لم تشبع ولن تشبع على الإطلاق من ابتلاع المزيد من الأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى مادام العرب على هذه الحال، وأعلنوها بصوت مدوي؛ بناء 1600 وحدة سكنية جديدة في القدس و1300 وحدة أخرى في الضفة الغربية وقبل ذلك بقليل كانوا قد أعلنوا ضم عدد من المآثر الإسلامية إلى التراث اليهودي.. وهكذا مما يعني استهانة كبرى بمشاعر العرب والمسلمين واستخفافا بمواقف استجداء السلام العربية الرسمية والمزمنة.

لقد آن الأوان لكي يكون "الرد المناسب" من قبل الدول العربية والاسلامية تأييداً للمعتصمين في بيت المقدس الذين يدافعون عن حرمته ووجوده وتأييداً للمقدسيين الذين تهدم بيوتهم يوماً بعد يوم، ويرحلون ويُهَجّرُون، واستنكاراً لهدم المآثر الاسلامية وضمها وتهويدها، وفكّاً للحصار الظالم الذي يعيشه الفلسطينيون في غزة، الذين يُرادُ لهم أن يعيشوا في عصر ما قبل التاريخ.

آن الأوان لكي يكون "الرد المناسب" رسميا وشعبيا حتى يستعيد العرب والمسلمون وحدتهم ومجدهم وتكون لهم "الكلمة المناسبة" لصد العدوان ودفعه حماية للمقدسات الإسلامية وفي مقدمتها ثالث الحرمين وأولى القبلتين، فمتى يكون ذلك؟!

د. عبد الرحيم بلحاج

يا عبد الله!!... أبصر حقيقتك!!

د. إبراهيم بن البو

يا عبد الله!!...من أنت حقا؟ ومن تكون؟... هل سألت نفسك مرات تلو المرات، من أنت؟ وسعيت حثيثا لتعرف الحقيقة؟... هلا سألت الآخرين لما عجزت عن تحصيل المراد؟ فدواء العي السؤال.

قد تسأل بعض من يصنفون أنفسهم في زمرة "العقلاء والحكماء" فيجيبونك على الفور: أصلك الحقيقي -كما أثبت العلم اليقيني- قرد، تطورت خلاياك وتعرضت لطفرة فصرت ما صرت إليه، إنسانا لا حيوانا، تسمع ذلك بأذنك وأنت حاضر القلب فتحاول إقناع نفسك بما سمعت فلا تجد لذلك سبيلا، وتحاول أن تتلقى الإجابة "العقلانية" كما وصفوها وتنزلها على كلياتك فتجد الأمر هراء في هراء وهرطقة لا عقلانية فيها ولا صدق.

وقد تسأل من أعياهم البحث عن الحقيقة ووقفوا أمام عقبتها حائرين ولم يقتحموا، فلما عجزوا قالوا: "إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع"، قد يحاولون إقناعك بعدميتهم فلا يستطيعون ذلك، وأنى لهم وكل ذرة فيك تعلن وبصوت عال: "لا يمكن أن يكون خلقي عبثا ولا لعبا".

قد تسأل وتسأل، وقد تكرر السؤال على الكثيرين، دون أن تجد الإجابة التي إن أنزلتها على كينونتك تجدها لباسا ملائما لا يطول ولا يقصر ولا يتسع ولا يضيق، لأنك أخطأت مصدر المعلومة الحق، وحدت عن الحق صاحب الإجابة الحق، ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾(يونس :32).

لن تجد مبتغاك ولن تحصل على مرادك إلا إذا سألت خالقك وخالق الأكوان السيارة من حولك، العارف بحقيقتك وحقيقة ما ركب فيك، العليم بمظهرك ومخبرك، والمطلع على حالك ومآلك، فيرشدك إلى دليله المنزل من عنده إليك، لتعرف مرادك بنفسك، مخاطبا إياك: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾(فصلت: 1- 2).

افتح كتاب ربك بنية الباحث عن الحقيقة، واتل ما تيسر لك من آياته تلاوة الواعي المتبصر، وتدبر ما قرأت تدبر من يروم استخلاص الدرر والجواهر واستنباط الحقائق،مستعينا ببيان نبيك، وداوم السير على طريق النور بنفس المنهج، فسترى الحقيقة الكلية عن ذاتك منتظمة أمامك في عقد فريد، تناديك: يا عبد الله!!....

أنت.. من خلق الله:

فلا تصدق من أخبرك عن طبيعتك من نتاج عقله المحدود، وأَيْقِنْ بما أخبرك به الحق من حق، فهو العليم الخبير بك وبسواك من أفراد الخلق: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾(الملك :14).

إنك -كما قدر خالقك- من سلالة من طين، أصلك من طين نفخ فيه الخالق من روحه، فتحول الطين الساكن خلقا آخر، خلقا حيا فاعلا ومنفعلا، قال جل ذكره: ﴿إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾(ص : 71)، وقال عز وجل: ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾(المومنون : 12).

وإذا أردت المزيد من هذه البينات النورانية، فألق سمعك لمن اصطفاه الخالق لحمل الرسالة الخاتمة الخالدة ليشفي غليلك بجوامع كلمه: «خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»(أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، ح 2879 ، وقال : حديث حسن صحيح).

لقد عرفت أصلك، فكيف صرت أنت إلى ما أنت عليه؟ خلقا آخر: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾(المومنون : 14)؟ إنك خُلِقت أطوارا: نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم أرسل إليك الملك من البارئ عز وجل فنفخ فيك الروح ، فصرت روحا في جسد وجوهرا في عرض، قال رب العالمين: ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(المومنون : 12- 14)، وقال الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»(متفق عليه).

أنت.. عبد لله:

إنك عبد مملوك لله تعالى ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾(الانفطار : 7- 8)، أذن بوجودك فألقى سر الحياة فيك، وله الحق وحده في سلبه، كل ذرة فيك تلهج بعبديتها له سبحانه: فإرادتك ومشيئتك لا تعلو على إرادته ومشيئته تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾(التكوير : 29)، وقلبك بين أصبعيه سبحانه يقلبه كيف يشاء: «قلب ابن آدم على إصبعين من أصابع الجبار عز وجل، إذا شاء أن يقلبه قلبه»(رواه أحمد)، بل حركاتك وسكناتك وكل حياتك من تقديره سبحانه.

فلا تنس أبدا عبديتك لخالقك المتصف بكل صفات الجلال والجمال والكمال، وتذكر أن لب عبديتك له سبحانه وتعالى إعلان افتقارك بين يديه، قال جل شأنه: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾(فاطر : 15).

وحقيقة فقرك -كما ذكر العالم الرباني ابن القيم رحمه الله- "أن لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء، بحيث تكون كلك لله، وإذا كنت لنفسك فثم ملك واستغناء مناف للفقر" (مدارج السالكين، 2/440)، والمراد من ذلك كله أن تجرد نفسك وتخلصها من كل حظوظها وأهوائها وتقبل كلية على ربك عز وجل، متذللا بين يديه، مستسلما لأمره ونهيه، متعلقا قلبك بمحبته وطاعته، وحالك يقول: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾(الأنعام : 164- 165).

ولتتشرب هذه الحقيقة ويرتوي بها كل كيانك، شرع لك من له الأمر والنهي عبادات قلبية وعملية، منها ما يذكرك بها خمس مرات على الأقل في كل يوم، ومنها ما يحقق هذه المهمة خلال كل أسبوع أو كل شهر... فتأمل صلاتك باعتبارها عماد الدين، تجد أنها تربيك على الوقوف بين يدي ربك خاشعا متذللا وفي سكينة ووقار، إنك تخفض رأسك وتنظر إلى موضع سجودك لتبدأ بالتكبير معلنا تعظيمك التام لله وحده، ثم تتدرج في مقامات الافتقار حتى إذا وصلت إلى مقامي الركوع والسجود طأطأت رأسك وعفرت ناصيتك بصعيد الأرض منيبا إلى خالقك تسأله أن يقبلك عبدا مطيعا وأن يعمك برضاه. وحتى ترتوي من شلالات هذه المقامات وتتطهر من مائها وتتشبع نفسك من انسيابها، ما عليك إلا أن تسلك هدي نبيك القائل: «فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم»(مسلم، كتاب الصلاة، ح 479).

وأَيْقِنْ حق اليقين أن إيمانك بفقرك يستلزم إيمانك بعظمة وجلال خالقك، فتدبر آيات وأحاديث الصفات والأسماء لتشعر بدقات قلبك تزداد وجلدك يقشعر وكل أعضائك تسكن وتخشع تعظيما لمقام الرب وهيبته وجبروته، قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾(الزمر : 64)، وقال الرسول ﷺ : «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»(مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح 2788).

أنت..عبد مكرم من الله:

إنك وإن كنت من خلق الله، إلا أنك مفضل ومكرم على كثير ممن خلق: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(الإسراء : 70).

وأصل تكريمك تكريم أصلك آدم عليه السلام، إذ خلقه ربه تعالى بيديه ونفخ فيه من روحه تشريفا له وتعظيما، قال عز وجل مخاطبا إبليس اللعين: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾(ص : 74) وقال جل ذكره مخاطبا ملائكته: ﴿إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾(ص : 71). فقد جعل فيه ربه شيئا من روحه ليصلح بعد لحمل ما سيكلف به من أمانة الاستخلاف، وليصلح بعد لتلقي الهدى الرباني الذي هو أيضا روح من جنس الروح التي نفخت فيه، قال تعالى: ﴿وكذالك أوحينا إليك روحا من امرنا﴾(الشورى : 49).

يضاف إل ذلك إسجاد الملائكة له سجود تكريم رغم نفاسة عنصرهم وسمو مكانتهم، إنهم عباد من نور جبلوا على الطاعة، إلا أن النور سجد للطين لما تنور بالنفخة الإلهية : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾(البقرة : 33)، فكان من وظائفهم خدمة الإنسان وخدمة الكون الذي هو أيضا في خدمته.

ومن أعظم مظاهر هذا التكريم الإلهي - وهي كثيرة- أن مَنَّ عليه بالخلافة، فكلفه دون غيره من المخلوقات صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها بعمارة الأرض بالخير والعدل والحق وإدارتها وتسييرها بمنهجه تعالى، بعد أن أهله بالعلم ومنهج تصحيح الخطأ، قال تعالى: ﴿إني جاعل في الارض خليفة ﴾(البقرة : 29).

فبتكريم أصلك كرمت، كما كرمت أيضا بتسخير جميع ما في السماوات والأرض لخدمتك: ﴿ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض﴾(لقمان : 19) وإنزال الهدى لتبصيرك بالطريق الذي يحقق لك السعادة في العاجل والآجل:﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾(الفرقان : 1)، غير أنك لن تحافظ على تكريمك إلا باتباع المنهج الرباني الهادى إلى كل مكرمة وخير، فإذا حدت عنه اجتالتك الشياطين فألقت بك في غيابات الظلام ومستنقع الرذيلة والشهوات، وفي ذلك إهانة لك ما بعدها إهانة، ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾(الحج : 18).

حقا إن أمرك يا عبد الله لعجيب!! هذا بيان الله أمامك جلي كالشمس ثم تتركه وتلهث وراء السراب!! فيا للعجب العجاب!!

إشراقة

عاقبة الكبر

ذ. عبد الحميد صادوق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، قال الله عز وجل : «العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذبته»(رواه مسلم)

فالكبرياء لله والعظمة له وحده. قال القرطبي رحمه الله تعالى : فهي من أوصاف الله تعالى الخاصة به التي لا تنبغي لغيره، فمن تعاطى شيئا منها أذله الله تعالى وصغره وحقره، وأهلكه. كما أظهر الله تعالى من سنته في المتكبرين السابقين واللاحقين. والعزة إذا كانت على الكافرين فهذا غير مذمومة. قال الله تعالى : ﴿أعزة على الكافرين﴾ والكبرياء إذا كانت على المنافقين والمحاربين غير مذموم أيضا وقد وصف الله أصحاب رسوله ﷺ بقوله تعالى : ﴿أشداء على الكفار﴾. ولكن الكبر على عباد الله بغير حق هو الذي جاء فيه الوعيد الذي يجعل صاحبه من المعذبين. «فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذبته».

وقد بين النبي ﷺ نوع العذاب الذي يلحق على كبيرة الكبر. فعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»(متفق عليه). وتقدم شرحه في باب المسلمين قال أبو عبيد : "العقل الفظ الشديد من كل شيء. وقال الخطابي : العتل الغليظ العنيف. و"الجواظ" : قال الخطابي : المختال في مشيته.

وهذه المواصفات لا تجتمع إلا في أهل الكبر والخيلاء وهم سكان الجحيم يوم لقاء رب العالمين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة : فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما. إنك الجنة رحمتي، أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما علي ملؤها»(رواه مسلم). قيل الضعفاء هنا : إنه الخاضع لله تعالى المذل نفسه له سبحانه وتعالى ضد المتجبر المستكبر. وهؤلاء أصحاب العافية الحسنى، أما المتكبرون في الأرض بغير حق، والمتجبرون على عباد الله بغير سلطان، فمصيرهم جهنم وبيس القرار، ولا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم سوء الدار، وعاقبتهم الذل والبوار. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم : شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»(رواه مسلم) والعائل : الفقير.

فهؤلاء الثلاثة انتفت في حقهم دواعي المعصية، ومع ذلك تكلفوا ركوبها، فالشيخ طاقته الجنسية ضعيفة ومع هذا تكلف الزنى، والملك في موضع القوة والغلبة والقهر فلا حاجة له بالكذب، إذ الكذاب يكون في موضع الخوف، والضعف، والعائل ليس له ما يتكبر به فالكبر يكون عادة بالمال والثراء، والجاه والمكانة، والفقير لا يملك شيئا من ذلك. قال عياض رحمه الله تعالى : "إن كل واحد واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعد هامته وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده.. فلم يبق فعل الفقير، وفعل الشيخ الزاني والإمام الكاذب إلا الضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى والله أعلم.

معارج الصلاة وإخراج الإنسان الكوني 2/2

د. فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

بين الجزء السابق من المقال أن جوهر الدين هو العبادة وجوهر العبادة الصلاة، وأن الإنسان ليس إلا عبدا كونيا حاملا رسالة رب العالمين، وعليه أن يتصل بربه في أوقات محددة الوقت والحكمة، ولابد لهذه الصلاة من شروط في نقاء الباطن والظاهر (الوضوء) وفي هذه الحلقة يواصل المقال حديثه عن جمال الصلاة...

مع الغر المحجلين

فما أبطأ بك إذن يا صاحبي؟ هذي جموع المؤمنين سارعت إلى لقاء رسول الله ﷺ بيوم القيامة، يرِدون حوضه الكريم، بأوسمتهم النورانية: كانت الخيل وهي مقبلة فأل خير، ترفع غُرَرَها البيضاء نحو سماء الانتصار، ولقوائمها المحجّلة -وهي تباري الأسنة راكضة- جمالٌ، لا يضاهيه إلا جمالها وهي تقف هادئة بين يدي رسول الله ﷺ بوجه أغرَّ وأطراف محجّلة. وإنما ذلك في المؤمن نور يكتسبه بسبب ما كان يحلي به وجهه وأطرافه من طهارة، في مسرى العبادة، السالك إلى الله.

فلتسبغوا الوضوء على المكاره إذن سادتي الأتقياء، فإنكم «أنتم الغُرُّ المحجّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»(متفق عليه). تلك سيم الجمال في وجوهكم، وأطرافكم يوم تَرِدون على المصطفى ﷺ، وهي سِيَم «ليست لأحد من الأمم»(متفق عليه)، بها تُعرفون في كثرة الخلائق يوم القيامة، كالدر المتناثر في دلجة الفضاء.

هذه ومضة الإبراق النبوي تبشر برشح الأنوار على أطراف المتوضئين الساجدين، رشحا لا يذبل وميضه أبدا. فإذا النبي الكريم يميز المحبين وسط الزحام واحدا واحدا: «**ما من أمتي من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة**»، قالوا: وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق؟ قال: «أرأيت لو دخلت صُبْرة (محجرا) فيها خيل دُهْم، بُهْم، وفيها فرس أغر محجل، أما كنت تعرفه منها؟» قالوا: بلى. قال: «فإن أمتي يومئذ غُرٌّ من السجود، مُحَجَّلُون من الوضوء»(رواه أحمد).

هذه قصة الماء الطهور في جداول السلوك إلى الله. وفي الماء سقاء لدالية الشعور بالرضى الرباني، والقبول للمثول أمام جلال الله. ألا ما أعمق الفرق في الغصن الواحد بين زمانين: الأول سنوات عجاف، لا نضرة ولا نعيم، ولا صدى لصهيل إلا قعقعة الحطب في ليالي الريح.. والثاني عام فيه يغاث الناس، فتتسلق الدوالي أغصان البروق، ويحتفل المطر، فإذا الأشجار مورقة ريانة، وإذا صفوف المصلين تتراص عند فاتحة الزمان الجديد، والوجوه مازالت ترشح بماء الطهور... وتكون الصلاة... «والصلاة نور»(رواه مسلم).

كانت كلمات الإقامة إشعارا ثانيا -بعد الأذان- بضرورة نفض كل ما بقي من علائق التراب قبل الإذن للأجنحة أن تقلع في طريقها إلى مقام المحبة: «قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة!» وترتفع الأيدي المحجلة تجاه القبلة في تكبيرة الإحرام، لتفريغ البال من جميع الأحوال، إلا حال الفقر المرفوق بالشوق إلى الغني الحميد، ثم تتأدب بالتزام الصدر في وقفة العبد بين يدي الملك العظيم، تأسيا بجمال الامتثال في قيام النبي ﷺ، وقد كان في وقوفه بباب الله «يضع اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد»(رواه أبو داود والنسائي)، و«كان يضعهما على الصدر»(رواه أبو داود)، ثم تشرق التجليات...

القِبلة جامعة الأفئدة

والقبلة جامعة لشتات القلب والبصر، وإنقاذ للعبد السالك من مقام الحيرة إلى حدائق الطمأنينة، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(البقرة:144).

وكيف لا يحتار هذا الفكر الجزئي البسيط، القابع في مدار كوكب ضئيل، يدب في بحر لجِّيٍّ من الكواكب والمجرات، وتيه من العوالم والمخلوقات، مما يستعصي حتى على مجرد التصور الشامل والاستحضار الكلي... فكيف إذن لا يحتار هذا الفكر المحدود المنحصر، وهو بصدد الاتصال، وعلى أعتاب المناجاة مع رب هذه العوالم المحيط بجميع هذه المخلوقات...

فلتكن القبلة إذن قنديلا آخر في طريق التعبد يجمع المصلين في العالم أجمع حول قلب واحد، ينبض بتوحيد الله ذي الجلال، ويبعث من مكة المكرمة أنوارا تتلقاها أفئدة العابدين في كل مكان "أن هلموا، هذا بيت الله الذي هو أول بيت وضع للناس"، فتجح الأرواح من محاريبها خمس مرات في اليوم... "الله أكبر!"

كأن سيف النور قد قطع الزمان نصفين، الأول إلى خلف، فما زال راكضا في تغيره يذوب فناءً بذوبان الأشكال والألوان المتهاوية تترى، في عالم الأوراق السافرة بين ربيع وخريف، ولا برعوم يورق مرتين: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ × وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:26- 27). والثاني إلى أمام، ما يزال متوجها إلى مقام البقاء، فالنور المتجلي على الغرر البهية مستمد من معين لا ينضب. والعبادة لحظة تستمد خلودها من مناجاة الحي الذي لا يموت، فتفنى الذوات عند آجالها، وتبقى لحظات الصلاة حرما آمنا لا يناله أثر الزمان، ليرسم نعيما سرمديا بقناديل تستمد زيتها الوضاء من مشكاة الله، ويُتَخَطّفُ السعي العابث من حوله، فإذا هو محض سراب.

المناجاة بين الخالق والمخلوق

كان الوارد نورا يهمي من أعلى، فينفتح القلب بكلمات من نور آخر، فإذا اللحظة مناجاة بين الخالق والمخلوقات.

أنت الآن أمام جلال الله، تقدم إيمانك إخباتا بين يديه تعالى، والقلب مفتوح الأبواب، فلا شيء به يبقى مستورا. وقد تنتابك أدخنة الطين رياء ونفاقا، ما بين الذرة وأقل، فتفر إلى ربك مذعورا. وتناجيه حزينا أن أبرئني يا سيد هذي الأوراد مني... «أوَ لست تصلي" و"إنّ أحدكم إذا صلى يناجي ربه»(رواه البخاري).

عجبا! فأي قوة ما زالت تصمد في ساقيك، فتمتثل وقوفا أمام عظمة الواحد القهار، والجبل قد اندكّ وراءك من خشية الله؟ أن تصلي يعني أنك تقابل ربك غصنا منفوض الأوراق... فأنت كما أنت، لا تخفى منك خفقة قلب واحدة؛ صَفَتْ أم خالط دمعتها ريحُ الحمأ المسنون... و«إنّ أحدكم إذا كان في الصلاة، فإن الله قبل وجهه»(رواه البخاري)، والله قَبل ذَلك وبعده ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(غافر:19). فكيف يمكن لهذا البصر أن يمتد قيد أنملة نحو السماء، والرب بجلاله قبلَه؟ إذن تندكّ ضلوعه، فيخر القلب صَعِقا، ولا يبصر شيئا بعدها أبدا. كان التحذير النبوي حريصا على أمر المحبين بالتزام آداب المحبة حتى لا تستحيل حديقة النور إلى ظلام دامس. قال ﷺ: «لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، أو لا ترجع إليهم»(متفق عليه).

وأما التفات عن يمين أو شمال فهو «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»(رواه البخاري). وأنّى لعبد في مقام الخضوع أن ينصرف عن مشاهدة الجمال بقلب ملؤه التقوى والورع؟! وأنى لعبد في مقام الخضوع أن ينصرف عن تذوق كؤوس الترتيل الطافحة بشهود الفلاح؟! كيف و﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ × الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(المومنون:2-1).

يا لآيات البهاء تنطلق كلماتها من ألسنة رطبة بذكر الله، مصطفة مثلما تَصُفُّ الملائكة عند ربها... وكيف تَصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأُوَلَ، ويتراصون في الصف»(رواه مسلم).

ألا صلى الله عليك يا رسول الله! أصَفٌّ في الأرض، وصف في السماء؟ والصلاة جامعة؟ هكذا إذن تخف الأجنحة المثقلة بأحزانها، وتنطلق الأسراب محلقة لمزاحمة الملائكة في مدارات النور عند أعتاب ملك الكون الظاهر والباطن.

ألا ما أشقى ذلك الجمل الشارد في صحراء الظلمات... لا يفتأ يلهث راكضا خلف سراب مال متسخ، حتى يتسخ وبره وتنتن رائحته، فيرين على قلبه ما يحجب رؤيته لجدول الصلاة الرقراق، وراء رمال العصيان، ثم يموت يلهث عطشا دون ظل المورد العذب. وما بين استحالة الموت ميلادا إلا أن يركع لمالك خزائن القطر، فإذا القفر حواليه حدائق ذات بهجة، ترشح غصونها بأنداء الطهور، نورا يصفيه من جميع الأدران.

كان البهاء يحيط الحبيب المصطفى، وهو في هالة صافية من أصحابه إذ قال: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات؛ هل يبقى من دَرَنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»(متفق عليه).

ويوقد الحبيب قنديلا آخر فيقول: «ما أدري أحدثكم بشيء أم أسكت؟» فقلنا: يا رسول الله إن كان خيرا فحدثنا، وإن كان غير ذلك؛ فالله ورسوله أعلم. قال: «ما من مسلم يتطهر، فيتم الطهور الذي كتب الله عليه، فيصلي هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارات لما بينها»(متفق عليه)، وفي ومضة قنديل آخر: «وذلك الدهر كله»(رواه مسلم).

هذا المسرى الربيعي إلى الله، رَغَبا في ينابيع الرحمة والمغفرة، تتعانق الصلوات فيه أقواسا من الدوالي المورقة، حيث تتشكل العناقيد قناديل خضراء، ترسم خطوات النور الهادي إلى الرحمن، فتختزل العدد والزمان، إذ بكل خطوة عشر خطوات في طريق الله، فقد فرض الله على نبيه ﷺ -في السماء السابعة، وبغير واسطة الملاك جبريل عليه السلام- خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ثم خففها سبحانه، اختزالا في خمس، ثم قال في الحديث القدسي: «يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة»(رواه مسلم).

أي فريضة هذه التي هي فضل كلها، ورحمة كلها، ونور كلها، وجمال كلها؟! وإن عبادة فرضت في السماء من غير واسطة الملاك؛ لحرية بالارتقاء صعدا بعشاقها إلى مقامات السماء.

فاصطبري يا أبدان على إدامة التطهر بنهر النور، فإن غصنا ينبت في جوار الغدير لا يجف أبدا، إن لم ينل من فيضه نال من نداه. والأمل يسري نضرة وجمالا في قده الميادِ ركوعا وسجودا.

فلتكن القبلة إذن قنديلا آخر في طريق التعبد يجمع المصلين في العالم أجمع حول قلب واحد، ينبض بتوحيد الله ذي الجلال، ويبعث من مكة المكرمة أنوارا تتلقاها أفئدة العابدين في كل مكان "أن هلموا، هذا بيت الله الذي هو أول بيت وضع للناس"، فتجح الأرواح من محاريبها خمس مرات في اليوم... "الله أكبر!"

القيمون الدينيون وضرورة التواصل

لقد عني الإسلام بالعلم كأشد ما تكون العناية، وركز على طلبه وتحصيله كأشد ما يكون التركيز، وأمر بتبليغه وحذر من كتمانه كأشد ما يكون التحذير قال تعالى : ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾. وجاء على لسان رسول الله ﷺ : «من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار» ومن خلال كثير من النصوص في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وأقوال السلف من العلماء الربانيين التي لا يتسع المجال لذكرها، يتضح أن العلم بحر لا ساحل له، ولا يحيط به إلا علام الغيوب سبحانه، وامتداد ليس له نهاية إلا عند من كانت السموات مطويات بيمينه، هذا العلم أنزله الله تعالى على رسوله في كتابه وأنطق به خاتم أنبيائه ورسله فكانت أحاديثه الشريفة منهل كل طالب علم، وزاد كل متزود، وإرث كل وارث فالعلماء ورثة الأنبياء «وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم» ورَثُوا العلم الذي به تكون الدعوة إلى الله تعالى. هذا الميراث تتبين أهميته عندما تُحَدَّدُ مهمة الرسول ﷺ وأتباعه في قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...﴾. والدعوة إنما تكون بالحال والمقال.

والحال ليس له مثال أبلغ ولا أحسن ولا أروع من وصف أمنا عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت : «كان خلقه القرآن» فكان لزاماً على أتباع سيدنا محمد أن يتحلوا بأفضل الخصال.

وأما المقال فهو الوسيلة التي يُبَلَّغُ بها هذا العلم النافع النازل من رب العالمين.

وإذا كان العلم بحراً لا ساحل له، وامتداداً لا نهاية له، فإن من أهم أساساته القدرة على تبليغه إلى الناس كافة وإيصاله إلى من لم يبلغه لإقامة الحجة عليه ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ ولتذكير المؤمنين عملا بقوله تعالى : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين﴾.

والقدرة على التبليغ، ومعرفةُ أساليبِ التبليغ، ومناهج التبليغ وأخلاق التبليغ، وآليات التبليغ... كلها مطالب يجب على كل من تجشم مصاعب الدعوة والبلاغ، ورفع راية التربية والتزكية، واعتلى منابر الخطابة والوعظ والإرشاد، وتحمل مسؤولية إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، أن يسعى إلى تحصيلها، لأن الدعوة إلى الله أشرف وظيفة بل هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وتحتاج إلى تظافر الجهود وتبادل الخبرات، ومزاحمة العلماء والأخذ عن الثقات. وإذا كان الله تعالى قد جعل من الناس خطباء ووعاظاً اختارهم واصطفاهم للنيابة عن رسوله الكريم ﷺ وفي المقابل هيأ أقواماً كثيرين جعلهم مستمعين و أمرهم بعدم الكلام أثناء إلقاء الخطب عليهم، فإن الواجب كذلك على كل خطيب وواعظ أن يتخذ له مجلساً يكون فيه بمنزلة المستمع من الخطيب، ليخضع عمله للتقويم والتصويب والتطوير.

ولتسليط الضوء على هذا الأمر حضرت المحجة أشغال الندوة التواصلية الأولى التي نظمها المجلس العلمي المحلي لمدينة فاس بتاريخ 6 ربيع الأول 1431هـ الموافق 21 فبراير 2010 م لفائدة القيمين الدينيين من الخطباء والوعاظ والواعظات، وأطرها ثلة من العلماء الأفاضل والأساتذة الأجلاء في محاور متعددة الغرض منها تأهيل القيمين الدينيين والتواصل معهم، في بادرة هي الأولى من نوعها بهذا الحجم، على أمل أن تتلوها ندوات أخرى. ولتعميم الفائدة تنشر المحجة الأعمال الكاملة لهذه الندوة كما وعدنا في العدد الماضي ونسأل الله أن ينفع بها وأن يتقبلها بقبول حسن.

عبد الحميد الرازي

الكلمة الافتتاحية لندوة الخطباء والوعاظ

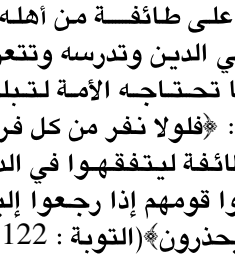

العلامة عبد الحي عمور
رئيس المجلس العلمي المحلي لفاس

أيها السادة الأفاضل نرحب بكم جميعا في هذا اللقاء العلمي الثقافي الذي يندرج في إطار التواصل بين المجلس وبينكم بصفتكم المؤهلين لنشر الثقافة الشرعية، والكفاءات العلمية المستأمنة على حفظ الشريعة ونشرها بين جمهور المؤمنين ممن يرتادون المساجد مع السعي لتكثير سوادهم والإقبال على الله تعالى. مما يستوجب مزيدا من تحسين خطابنا الديني وتطويره معرفيا ومنهجيا ويجعله أكثر تأثيرا في حياة الناس.

أيها الإخوة الأفاضل

نعرف جميعا أن من الخصائص والمميزات التي اختص بها الدين الإسلامي أنه أوجب على طائفة من أهله أن تتفقه في الدين وتدرسه وتتعرف على ما تحتاجه الأمة لتبلغه للناس : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾(التوبة : 122).

وقد اتفق أهل العلم على وجوب نشر الدين وأحكامه وقيمه وتقريبه إلى العباد وحمايته من كل تحريف أو تشويه، مما يعتبر أمانة في أعناقنا "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"(كنز العمال)، وقد تولى سلفنا الصالح من علماء هذه الأمة وفقهائها القيام بهذه المهام خير قيام، وكان لعلمهم وثقافتهم وأخلاقهم من التأثير وتصحيح مسار الأمة ما جعلهم موضع إكبار واحترام وتقدير من لدن العامة والخاصة من الناس، ونحن ولله الحمد على آثارهم مقتدون وعلى نهجهم سائرون.

ولكن تأثيرنا كعلماء وفقهاء على اختلاف مواقعنا ومسؤولياتنا -وفي مصارحة مع الذات- أخذ يتراجع قليلا عما كان عليه من قبل عند سلفنا، لأسباب ذاتية وموضوعية، وربما ظنا من بعضنا أننا لن نستطيع أن نقوم الاعوجاج ولا أن نصحح المسار، الأمر الذي يتطلب وقفة تأملية لمراجعة ما نحن عليه، وما أصبح يفرضه تطور العصر وتبدل الأحوال وتقلبات الزمان من تجديد وتطوير بما يحدث التغيير والتأثير ويؤسس لحركة دينية تصحيحية في مواجهة التغريب والاستلاب والانفلات الذي يغشى طائفة من الناس.

فهل نحن في حاجة إلى وضع تصور جديد لعملنا الديني يحدد الرؤيا ويرسم المعالم من جديد، وإلى ضرورة وضع استراتيجية جديدة متكاملة تحدد الغايات والمقاصد من خطابنا الوعظي وتوجيهنا الإرشادي، خاصة ومواعظنا وخطبنا ودروسنا في غالبيتها أحاديث ومواعظ متناثرة لا ينتظمها نسق فكري موحد، ولا تنطلق من رؤيا مشتركة ولا تحدد أهدافا يتعين تحقيقها؟ هل نحن في حاجة إلى اعتماد موضوعات معينة ننطلق منها في نشاطنا الثقافي لاستنهاض الأمة وترسيخ قيمها الدينية وتعميق انتمائها لأمتها الإسلامية ووطنها المغربي؟ هل نحن بحاجة إلى اعتماد إطار منهجي تقني تواصلي يقوم على التقنيات والمهارات التواصلية الحديثة، وأساليب التواصل مع الجمهور والتأثير فيه؟ نحن نعلم اليوم أن المعارف العلمية والمضامين الراقية تبقى قاصرة عن الوصول والتأثير في العقول والقلوب إذا لم يكن صاحبها عارفا بكيفيات التبليغ وآلياته الجديدة. أنا أعرف أن هذا الذي أتحدث عنه ليس أمرا يسيرا، وأن تحقيقه يتطلب تنظيرا وعملا ميدانيا، ولكن في انتظار ذلك، وسعيا إلى ترسيخ المعرفة وتعميقها خاصة لدى فئة عريضة من الوعاظ والخطباء والمرشدين الذين يلتحقون بنا، وأداء لحق رواد المساجد والفضاءات الدينية الأخرى، يجب علينا تقديم فكر ديني جديد وخطاب إسلامي مستنير يستمد نسقه من تراثنا الفقهي التنويري وحقول معارفنا وعلومنا التراثية والمعاصرة تكون منطلقا لما نرومه جميعا بحول الله وعونه.

أيها السادة الكرام

إن مهمتنا أصبحت شاقة وعسيرة لاستنهاض الأمة والاستجابة لتطلعاتها، وهي مهمة تتطلب التسلح بالمعرفة والثقافة الإسلامية، ثقافة تزاوج بين النقل والعقل والقديم والجديد في نطاق الحفاظ على الثوابت والمقدسات والهوية والخصوصيات، وبأساليب جديدة في البحث، ومناهج حديثة في التواصل، وتقنيات ومهارات متطورة في الإقناع والتأثير، مما يعني أن يكون لنا وعاظ ومرشدون وخطباء في مستوى المرحلة وما تتطلبه، ونحن في هذا البلد نتوفر بحمد الله تعالى على نخبة طيبة من هذا النوع تستطيع أن تحمي الدين وتنشر تعاليمه وأحكامه وقيمه، فبارك الله في الجميع وهدانا جميعا إلى الطريق المستقيم، وشكر الله لإخوتنا أعضاء لجنة الأبحاث والدراسات والتكوين على ما سيقدمونه من مداخلات لإثراء الموضوع وإخصابه.

والسلام عليكم ورحمة منه تعالى وبركاته.

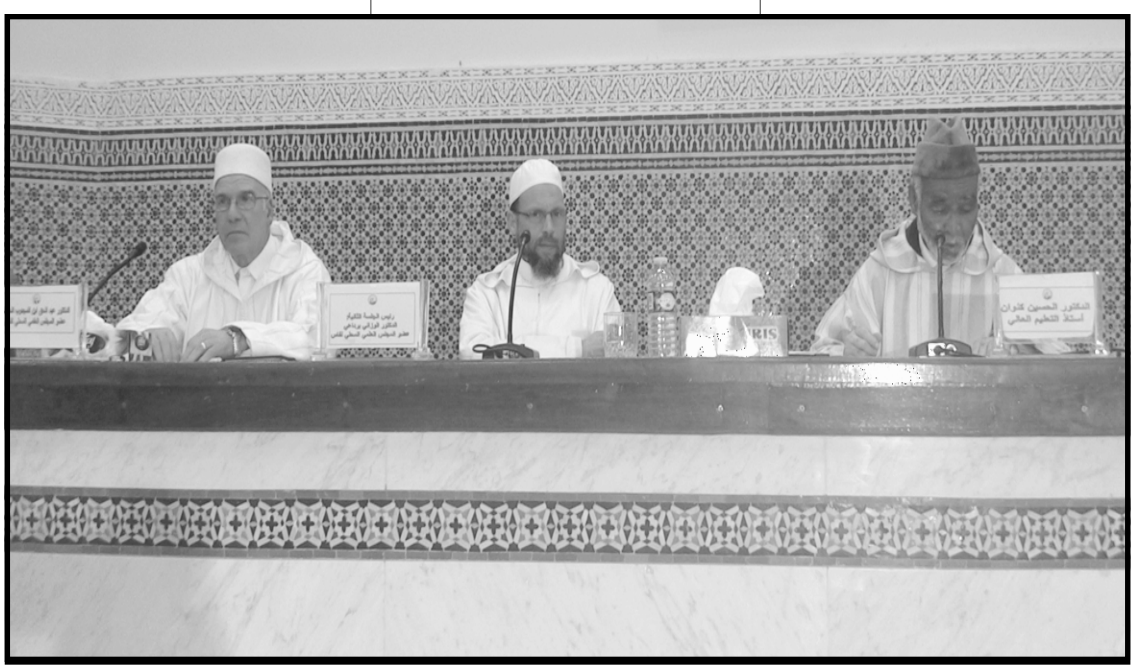

مقدمات ممهدات في تكوين القيم الديني

أ.د. الشاهد البوشيخي

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا،

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما،

اللهم افتح لنا أبواب الرحمة، وأنطقنا بالحكمة، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة.

أيها الأساتذة الفضلاء

بارك الله لنا وللأمة فيكم، وما أسعدنا اليوم بلقياكم، **وإن المَنصِبَ هو الذي جعل مثل هذا العبد يَتكلم أمامكم، وإلا فأنتم أئمتنا؛ خلفكم نؤدي أفضل ما فرض الله علينا سبحانه وتعالى: الصلاة الواصلة به تعالى.**

أيها الأساتذة الفضلاء

هذا اللقاء لقاء تشاور علمي، من أجل التعاون على البر والتقوى.

وهو لقاء افتتاحي، له ما بعده إن شاء الله تعالى.

أيها الأساتذة الكرام المقدمات التي آثرت أن أثيرها أمامكم ثلاث:

المقدمة الأولى :هي أن القَيِّم الديني محطة إرسال ومَركزُ توزيع للهدى الرباني والنور في الأمة:

ذلك بأن الموقع الذي هو فيه، خطيباً وواعظاً وإماماً ومؤذناً، هو أساساً أمام الناس، في موقع خاص،هو ليس كبقية الناس، هو في موقع خاص، في موقع الإمامة بصورة طبيعية، وإنما جُعل الإمام ليُؤتَمَّ به. الأمة اليوم لا يخفى على أحد ما هي عليه سواء محلياً أو دوليا، **والذين يمكن أن يكون على يدهم الإسهام في نقل الأمة من واقعها المشهود إلى موقعها المنشود إنما هم الأئمة؛ لأنهم من الناحية العملية موجودون في كل مكان،إذ لابد لنا من مساجد، ولابد لنا من صلاة الجمعة، ولابد لنا من الصلوات الخمس.**

لابد لنا من هذه البيوت التي هي بيوت الله،والتي فيها يتجدد ماء الإيمان، وفيها يتجدد نور العلم، وفيها تتجدد الروح المؤمنة بصفة عامة.

المساجد بالنسبة للإنسان، هي الرئة التي فيها يُنقى دم الإيمان في المسلم خمس مرات في اليوم ، فيعود إلى خارج بيت الله، بعد كل حصة تنقية ، وقد تطهر من كثير من البلايا؛ تطهر قلبه، وتطهر تبعاً لذلك لسانه، وتاثرت تبعا لذلك جوارحه، إذ القلب ملكُ الأعضاء، ومن مَلَكَ القلوب مَلَك الأعضاء، «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»،

ألا وإن الذين يتوقع منهم أن يؤثروا في القلوب، ويوجهوا القلوب، إنما هم الأئمة بالمفهوم الشامل للإمامة، إنما هم الأئمة أو القيمون الدينيون بالاصطلاح الذي نعيشه الآن: الخطباء، والوعاظ، وأئمة الصلوات الخمس، والمؤذنون -وهم نواب عنهم-. كل أولئك بصفة عامة مطلوب منهم أن يوزعوا نور الله وهدى الله عز وجل على عباد الله، وقد كثر الظلام في الكرة الأرضية كما هو معلوم ومعروف، فعملية إحياء الناس وإنقاذهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور إنما تتم على يد هؤلاء، وهم موزعون بصورة طبيعية في كل المدن والقرى في الأمة الإسلامية، فلا يوجد حيّ يخلو من إمام، ولا يوجد مدشر من المداشر في القرى والبوادي يخلو من إمام، **فإذا صلح ذلك الإمام وهو قَلْبُ ذلك التجمع البشري في الأمة المسلمة، إذا صَلَحَ، صلح بصلاحه من حوله من الناس، ولن يستطيع أن يكون كذلك حتى يكون موصولاً بربه حقا، يقبس النور من نور السماوات والأرض: يأخذ من اسم الله العليم "العلم"، ومن اسم الله الحكيم "الحكمة"، ومن اسم الله القوي "القوة"، يأخذ من أسماء الله الحسنى ما به يغذي الناس ويروي عطشهم.**

إن صلاَح الأئمة يعني صلاح من حولهم، وصلاح من حولهم يعني صلاح الأمة كلها بفضل الله تعالى، فقط يجب أن يُخلِصُوا لله جل جلاله، ويَخْلُصُوا لله جلَ جلاله، فهو نور السماوات والأرض، ﴿الله نور السماوات والارض﴾، ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾، لا نور إلا من نور الله جل جلاله، ولا هدى إلا من هدى الله جل جلاله ﴿قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾.

فالقيم الديني أيها الأحبة، هو حامل الهدى وموزعه في الكرة الأرضية، وهو الداعي إليه به. هو الداعي إلى الهدى، وهو الداعي بالهدى إلى الهدى.هو الداعي بهدى الله عز وجل إلى هدى الله عز وجل، والله جل جلاله هو مُمِدُّه، فيجب أن لا يتوكل إلا عليه، يجب أن لا يتوكل إلا على الله سبحانه عز وجل، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾.

المقدمة الثانية:أن القيم الديني في مقام الأسوة والاقتداء بالنسبة لغيره؛

ذلك بأن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يُورِّثوا دينارا ولا درهما، وإنما وَرَّثُوا العلم، والعلم الحق هو العلم بالله سبحانه وتعالى،ثم العلم باليوم الآخر، هو العلم بأركان الإيمان أساسا؛ لأنها التي تضبط سلوك العبد، وتورثه الخشية من الله جل جلاله، وتورثه الخوف من اليوم الآخر، وترزقه الاستعداد للقاء الله جل وعلا في ذلك اليوم. هذا العلم هو العلم، ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾، ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾، هذا هو العلم، لا ما يقال إنه العلم، **فكل علم غير هذا العلم هو أصلا ينبغي أن يكون من هذا العلم، ومَرَدُّه إلى هذا العلم، والحُكْمُ عليه بهذا العلم، فالهيمنة في الكرة الأرضية يجب أن تكون للعلم الرباني لا لسواه، فهو العلم الذي إليه يُرد جميع العلم ، وجميع العلوم إنسانية كانت أو مادية يجب أن ترد إلى هذا العلم؛ فمن القيم الديني إذن يتجدد أمر الدين في الأمة ويتيسرأمر إحياء الأمة.**

لابد من روح جديدة تُنفَخُ في الأمة لاستنهاض الأمة، فكيف تُستَنهَض إذن؟ إنما تستنهض بما استُنهِضَتْ به أول مرة، «لن يَصلُحَ آخر هذا الأمر إلا بما صلَحَ به أوَّلُه».

والأئمة -كما قلت- أي : الخطباء والوعاظ وأئمة الخمس والمؤذنون، لا يخلو منهم مسجد في الأمة، إنهم موجودون في جميع المدن، وموجودون في جميع المداشر، وموجودون في جميع الأحياء، **فإذا حرصوا، و اهتموا بأنفسهم فأصلحوا أمرهم مع ربهم أولا، ثم مع الناس ثانيا، وتفقهوا في دين الله عز وجل، وتخلقوا بما أمرهم الله عز وجل أن يتخلقوا به، ثم بذلوا أقصى الجهد في سبيل الله لبلاغ رسالات الله سبحانه عز وجل، فإن الخير العظيم سيكون على أيديهم للناس جميعا، بل للكائنات جميعا.**

المقدمة الثالثة: هي أن القيم الديني نتيجة تكوين أساسي يسبق التكوين المستمر؛

ذلك بأنا نأخذ القيم الديني أساسا من التعليم، والتعليم أنواع، وهو بجميع أنواعه يجب أن يكون فيه ما يُؤَهِّلُ، وذلك يجعلنا نحصل على القيم الديني جاهزا علماً وخُلقاً، نحصل عليه معلومات من جهة، وأخلاقاً من جهة، وتكويناً وتدريبا من جهة أخرى. أين ينبغي أن يكون هذا؟ يكون أولا في مؤسسات التكوين الأساسية: في الجامعات، في المدارس العتيقة، في المدارس الأصيلة، في مدارس التعليم العام... كل تلك المؤسسات يجب أن يوضع في حسابها أن صِنْفاً منها سيكون يوما ما إماماً للناس، فينبغي أن يرتفع مستواها الشرعي؛ لأن بارتفاع مستواها في العلم الشرعي يرتفع مستوى تأهيل الذي سيحمل الأمانة بعد، ثم من بعد ذلك يضاف ما يضاف في مراكز التدريب ومراكز تكوين الأطر إن تيسرت، ثم من بعد ذلك يضاف ما يُسمَّى بلغة العصر: "التكوين المستمر" ، ذلك الذي يضيف ما جَدَّ من المعلومات، فيجعل الشخص مواكباً لما يَجِدّ بصفة عامة.

وإذن، فالتعليم التعليم التعليم...، والعناية العناية بالتعليم لرفع مستواه.

هذا هو المخرج عملياً بالنسبة لتكوين القَيِّم الديني حقيقة، سواء أردنا العلاج لما هو كائن، أو أردنا الوقاية من البلايا التي يمكن أن تكون.كل ذلك لا يتيسر بغير التكوين الصحيح للقيم الديني. وواضح أن المؤسسات في هذا الأمر على ثلاث رتب :

أولا مؤسسات التعليم العتيق، و هي التي فيها حظّ العلوم الشرعية أكبر، وأهلها يحفظون كتاب الله عز وجل وعددا من المتون.

ثانيا مؤسسات التعليم الأصيل؛ وتأتي في الرتبة بعد التعليم العتيق، وقبل التعليم العام.

ثالثا التعليم العام الذي نسأل الله تعالى أن يرتفع حظ التعليم الشرعي فيه إلى أعلى مما هو عليه.

أخيرا أختم بالكلمة المشهورة :«**لأن تُوقِدَ شمعةً خير من أن تَسُبَّ الظلام**».

إن سبُّ الظلام لا يُجدي شيئا، سُبَّ ما شئت من الظلام، جميع أنواع الظلام : صغيرة كانت أم كبيرة، محلية أم دولية، إن ذلك لن يعطينا قدر شبر واحد من الإبصار، لن نستطيع أن نبصرشيئا من الطريق ولو سَبَبْنَا ما سببنا، وبعكس ذلك إذا أوقدنا شمعة ولوصغيرة ، نستطيع أن نرى مساحة كبيرة، فكيف إذا كان المصباح قويا؟ وكيف إذا ازدادت قوته؟ وكيف إذا تكاملت المصابيح؟.

وإنما القيمون الدينيون مصابيح في الأرض.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ومنكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن صلاَح الأئمة يعني صلاح من حولهم، وصلاح من حولهم يعني صلاح الأمة كلها بفضل الله تعالى، فقط يجب أن يُخلِصُوا لله جل جلاله، ويَخْلُصُوا لله جل جلاله

التكوين العلمي للقيم الديني

د. محمد أبياط

بسم الله الرحمان الرحيم
و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أيها الحضور الكريم
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

هذه كلمة متواضعة،توخيت فيها الإجمال ، فالوقت المحدد لها عشرون دقيقة، وراعيت فيها الوضوح تيسيرا للفهم وعونا على الاستيعاب. ولعلها تحظى بمزيد من الإيضاح والتفصيل عند المناقشة بحول الله. وقد اشتملت على العناصر التالية:

- مدخل
- علم القيم الديني
- ثقافته
- منهجه
- مكتبته

مـــدخـــل

1- مفهوم القَيِّمُ (دون إضافة) :القيم: السيد، وسائس الأمر.

وقيم القوم: الذي يقومهم، ويقوم بأمرهم، ويسوس شأنهم .

وأمر قيم: مستقيم. والأمة القيمة: المعتدلة.

وقيم الأمر: مقيمه. وقيم المرأة: زوجها، لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه.

وقوله تعالى: ﴿دينا قيما﴾ : أي ثابتا، مقوما لأمور معاش الناس ومعادهم.

وقوله تعالى:"ذلك الدين القيم"أي: المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.

وقوله تعالى: ﴿فيها كتب قيمة﴾ أي مستقيمة تبين الحق من الباطل، على استواء وبرهان. وفيه إشارة إلى ما فيه من معاني كتب الله تعالى، فإن القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة.

وقوله: ﴿وذلك دين القيمة﴾ القيمة هاهنا اسم للأمة القائمة بالقسط، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾."

- وبناء قيم: قويم على وزن : (فوعل) ثم، أبدلت الواو ياء فصارت قَيْيِم، ثم أدغمت الياءان، فصارت (قيم).

- ويستفاد مما سبق أن كلمة "القيم" تتضمن كثيرا من المعاني، كالسيادة، والتدبير، والتقويم والاعتدال، والثبات، والاستقامة، والقسط.

- وإضافة الدين إلى القيم، تعني الاهتمام والرعاية والعلم بالدين والمسؤولية، وإن كانت من بعض الوجوه، وليست الإضافة مطلقة إلا في الإمام الأعظم إذا اجتمعت فيه شروط الإمامة كرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن المسلم أن مهمة القيم الديني في مصطلحنا هنا، تقوم على أسس علمية ثابتة، مصدرها الوحي، ومجالاتها الأساسية: العقيدة، والطهارة، والعبادة، والحلال والحرام، والمجاهدة.

- والقيام بهذه المهمة الجليلة على الوجه المرضي شرعا، لا يتأتى، ما لم يكن القيم كفؤا لها، ومؤهلا بحظ أوفر من العلم الشرعي المتعلق بأفعال المكلفين، يجعله على هدى في ذاته كفرد مكلف، وعلى بصيرة بتربية وتقويم مجتمعه ، من أجل المحافظة على الهوية الشرعية للأمة قوية وسليمة ، ومن أجل إحداث التغيير المنشود.

والأصل فيمن يُصطفى للقيام بالشؤون الدينية أن يكون مؤهلا بالعلوم الشرعية- كما سبق-ولكن قد يفرض الواقع أحيانا أن يقدم لتلك المهمة من يلزم تأهيله مثلي إذا كان قابلا للتأهيل .

علم القيم الديني

أقصد بلفظ "العلم" هنا" المعلومات الشرعية اليقينية، ورجاحةَ الظن، المستفادة من الكتاب والسنة والسيرة النبوية، والمنقولة بالأسانيد المتينة، والمفاهيم الصحيحة من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وهذه هي المرجعية الأولى للقيم الديني.

وأولى العلوم التي تقتضيها مهمته:

- **اللغة العربية**
- **والفقه**
- **والتجويد**
- **ثم العلوم الأخرى ، ترتب حسب تنوع وتعدد مسؤولية القيم الديني، كعلم المواريث والحساب والنكاح والطلاق، والأيمان، والنذور، والزكاة، والجنائز، والصلح، ومجاهدة النفس.**

فاللغة العربية باشتقاقها وصرفها ونحوها وفقهها، وبلاغتها وأساليبها وآدابها نثرا ونظما، هي مفتاح نصوص الوحي، وكلام السلف، التي يستقي منها القيم الديني معلوماته، ويحسن بها بضاعته، ويوسع بها مداركه.

واللغة العربية أساس تحصيل العلم الشرعي الضروري للقيم الديني وغيره، ومالا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

وأولى فقهيات العلم الديني فقه العقيدة والطهارة والعبادة والمجاهدة.

فالقيم الديني يعتبر مرجعا للمؤتمين به، وأولى ما يجب عليه تصحيحه وتقويمه، عقيدة المسلمين، وطهارتهم، وعبادتهم، وسلوكهم.

وأكثر أسئلة العامة وحاجتهم الفقهية في هذه المسائل.

ولما كان حفظ القرآن وحسن تلاوته، بإجادة مخارج الحروف ومعرفة أحكام الوقوف، خصائص ومميزات تستهوي الأفئدة إلى عمارة المساجد، وتستحضر العقول للتدبر والتذوق، كان علم التجويد مطلوبا مؤكدا من القيم الديني، ومن أفواه الشيوخ المتقنين عن شيوخهم وهكذا، لأن علم التجويد والقراءات من العلوم المنقولة بالسماع، وبالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثقافة القيم الديني

اقصد بالثقافة هنا أصناف المعارف وأشكال الخبرات وأنواع العلاقات التي تدخل في تكوين الشخصية، والتي تستخلص من الممارسات المختلفة لصور الحياة الاجتماعية والأنشطة الثقافية كاللقاءات والمدارسات والحوارات والزيارات والرحلات والمشاهدات، والمشاورات والاهتمامات الإعلامية، والاستفتاءات، وحضور المجالس العلمية، والمحاضرات والأيام الدراسية، والدورات والندوات، إضافة إلى المكونات العلمية السابقة، والجهود الشخصية الذاتية الدائمة ويا حبذا لو وجد من يدعمه بشيء من علم النفس الاجتماعي، ومن أساليب التواصل .

ومن لوازم ثقافة القيم الديني أن يلم بما أمكن من **علم التاريخ الإسلامي** خاصة **وعلم الجغرافيا الأرضية والبشرية**، وأن **يهتم بتنوع الملل، واختلاف الألسن وتعدد المذاهب الفكرية، والظواهر الاجتماعية، والحركات الإسلامية، والطرق الصوفية، والاتجاهات السياسية والهيئات الدولية والمنظمات العالمية.**

ويحسن به أن يتعلم كيف ينتفع **بتقنيات الكتابة والبحث المستحدثة كالحاسوب والانترنيت** ولكن لا يعتمدها كمصدر أو مرجع يطمئن إليه ويوثق به، وإنما يستعين بها ليهتدي إلى المصادر والمراجع الموثوق بها. ولا بأس من **إطلاله على الدوريات والبحوث والمجلات العلمية، ولا يسرف في قراءة الصحف والنشرات، ومشاهدة القنوات، والإنصات إلى الإذاعات ، ولا يهملها إطلاقا.**

فالقيم الديني يحسن به ألا يجهل أحوال محيطه المباشر، وألا يغفل عما يجري في العالم من نوازل وحوادث حقيقية أو مفتعلة، ومن أنباء صادقة، وأخبار كاذبة مبيته، مع التحري والتبين. كما قال تعالى: ﴿... إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا...﴾.

منهج القيم الديني

يعتمد القيم الديني في حياته العلمية والثقافية والسلوكية من الآية السابقة، منهج العدل والضبط والجرح، والتوثيق والتمييز والتحرير وحسن التوظيف، وجودة الإعمال والتنسيق مهتديا بقوله تعالى:"قل هاتوا برهانكم"ولا يليق بالقيم الديني -إضافة إلى ما سبق- أن يؤجل ويهمل ما ينبغي تعجيله، ولا يقبل منه التهور والاستعجال فيما يجب فيه التبصر والإهمال، وإنما عليه أن يتحرى حسن التقدير على كل حال.

مكتبة القيم الديني

من المفروض أن يكون للقيم الديني أوقات يفرغ فيها يوميا للقراءة والمطالعة الفردية والكتابة، ليحافظ على محصلاته العلمية والثقافية، وليتوسع في مداركها ويضيء زواياها، وليضيف ما ينبغي إضافته إلى رصيده حتى لا تنبذه الحياة كنفاية في القمامات.

وحيث إن المراتب العلمية والثقافية تتفاوت بين القيمين الدينيين، فإن تصور المكتبة يختلف أيضا تبعا لاختلاف مراتب القيمين الدينيين ، وصدق اهتمامهم بتوفير المصادر والمراجع الأساسية والمكملة لطلب أي علم شرعي يلزم فيه الاعتماد على شيخ أو أكثر، مقتدر متمكن، وخاصة للمبتدئين والمتوسطين في الطلب، وهؤلاء يحسن بهم أن يقتنوا المصادر والمراجع التي ينصح بها مدرسوهم، لأنها موادهم ومقرراتهم، ولهم أن يتوسعوا في اقتناء مراجع ومصادر أخرى يوصي بها الشيوخ، وعلى هؤلاء أيضا أن لا يشتتوا اهتمامهم وشوقهم في تحصيل كل ما يجهلون، وخاصة في مراحلهم الابتدائية، فعالم المكتوب والمسجل والمدمج لا يحيط به أحد، فليبدأ القيم الديني بالأهم فالمهم والضروري، وليحرص على مداومة القراءة وحسن المطالعة والمشاهدة، فالعبرة بالعلم المحصل في الصدور، والذي ينتفع به، وليس بتراكم المؤلفات المختلفة تملأ بها الخزانات، وتثقل بها الرفوف، وتزين بها الجنبات في البيوت والأبهاء والممرات، والله أعلم.

مقترح أولي لمكتبة القيم الديني

(1) العقيدة:
1- الرائد في علم العقائد للعربي اللوه.
2- الشرح والدلالة على مقدمة الرسالة للوزاني برداعي.
3- كتاب التوحيد، لابن منده.

(2) الفقه:
1- الحبل المتين على نظم المرشد المعين للمراكشي.
2- المبين عن أدلة المرشد المعين محمد العمراوي.
3- الشرح الكبير للمرشد المعين للشيخ ميارة.
4- شرح الألفية الفقهية على مذهب السادة المالكية. للمبروك بن علي زيد الخير.

(3) التجويد:
1- الملخص المفيد فيما لابد منه من التجويد لابن شقرون.
2- النجوم الطوالع.
3- احكام التجويد.عاشور خضراوي الجزائري.

(4) اللغة:
1- المعجم الوسيط.
2- المصباح المنير للفيومي.
3- المعتمدفي اللغة.

(5) النحو:
1- شرح الأجرومية.
2- النحو الواضح (ابتدائي وثانوي).
3- شرح قطر الندى.

(6) التصريف:
1- فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال. لبحرق.
2- شرح التفتازاني على التصريف العزي.
3- التطلع الشريف في شرح البسط و التعريف (تصريف المكودي).

(7) التفسير:
1- كلمات القرآن حسين محمد مخلوف.
2- أيسر التفاسير لابي بكر جابر الجزائري .
3- تفسير ابن كثير.
4- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي.

(8) الحديث:
1- جامع العلوم والحكم لابن رجب
2- شرح الأربعين النووية
3- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين
4- كشف الخفا...للعجلوني.

(9) السيرة النبوية:
1- نور اليقين للخضري
2- السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي
3- السيرة النبوية لابن هشام

(10) المواعظ:
1- كتب التفسير
2- شروح الحديث
3- كتب الرقائق(الصحيحة)
4-قصص القرآن
5- التذكرة للإمام القرطبي
6- الأذكار للنووي
7- كتب الدعوة:تذكرة الدعاة للبهي الخولي(مثلا)

(11) تاريخ وجغرافيا
1- تاريخ المغرب للهاشمي الفيلالي
2- أطلس العالم

التكوين اللساني للقيم الديني

د. الحسين گنوان

تهدف هذه المداخلة إلى إبراز أهمية اللغة العربية لفهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم ﷺ، ثم الحد الأدنى المطلوب تعلمه منها للقيم الديني وكيف ينبغي توظيفه لإنزال المفاهيم على أرض الواقع بحسب أحوال المخاطبين.

الموضوع : التكوين اللساني للقيم الديني

يتألف عنوان هذه المداخلة من شطرين:

أولهما : التكوين اللساني. وثانيهما : القيم الديني. وينبغي الانطلاق من شطري العنوان المقترح لهذه المداخلة حتى لا نبعد عن المقصود. ونقول وبالله التوفيق : إن الجزء الثاني "للقيم الديني : يقيد الحديث بالنسبة للشطر الاول. والشطر الثاني مبين بشكل أوضح في السّشطر الثاني لمقدمة برنامج هذا اللقاء المبارك : "دورة تواصلية علمية لفائدة السادة الوعاظ، وخطباء الجمعة بفاس" فالسادة الوعاظ والخطباء هم المعنيون بالتكوين اللساني(1). وهذا ما جعلنا نقترح لهذه المداخلة ثلاثة عناصر هي :

- أولا : أهمية اللغة العربية لفهم كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله الكريم ﷺ ولماذا؟(2),
- ثانيا : الحد الأدنى الذي ينبغي توفره منها لدى القيم الديني : الواعظ، والخطيب وكيف؟(3).
- ثالثا : إجراءات توظيف قواعد اللغة لإنزال المفاهيم على أرض الواقع مراعاة لأحوال المخاطبين(4).

إن معالجة هذه العناصر الثلاثة بالشكل المطلوب يستوجب استحضار دلالة الكلمة الأولى في عنوان هذه المداخلة وهي : "التكوين" والتكوين مصدرُ فعل "كوَّن" على وزن "فَعَّل" وتضعيف عين الفعل الثلاثي- غير الهمزة- قد تفيد التكرار والتمهل نحو علّمت الراغب، وبصرته بالحقائق" النحو الوفي 4/694.

وعليه فدلالة المصدر "التكوين" لا تنفصل عن دلالة الأصل "كوّن" ولذا يقول الكفوي : "والتكوين : ما يكون بتغيير وتدريج غالبا (الكليات 29) وهو صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامُه على وفق الإرادة" نفسه 256.

هذا عن كلمة التكوين : التي أفادت هذه الوقفةُ القصيرةُ عندها أنها تستلزم الارادة والتدرج لتغيير كل ممكن إيجابا أو سلبا. إذا وقع التكرار، والتمهل، وحصلت الرغبة.

أما كلمة اللساني المركبة من المنسوب إليه وياء النسبة(*) في علاقتها مع القيم الديني (المسلم) فتحيلنا على نوع الخطاب الذي ينبغي أن نكون في مستوى فهمه وإفهامه وهو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وهنا نقول : اعتبار المصطلح اللساني الواردة في الموضوع.

إن الخطاب القرآني يتألف من بنيات لغوية تفترض السمو بأي منهج تحليل (لغوي) يقترح لدراستها عما قد يكون مألوفا ومتداولا بين الناس، ذلك أن المناهج اللسانية المتداولة في الواقع تتحدث في منطلقاتها -ومن حقها أن تفعل ذلك- عن اللغات الطبيعية، على اعتبار أنها أي اللغات الطبيعية أهم أدوات التواصل بين الناس والسؤال الوارد بحدة في هذا السياق هو هل الخطاب القرآني لغة طبيعية بالمقاييس المتبعة حتى تقترح له أدوات التحليل اللغوي المستفادة من هذا المنهج أو ذاك؟ أم أنه منها بوجه ما دام قد نزل بلسان عربي مبين على حد قوله تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾(الشعراء : 193) ويسمو عنها بوجوه، لأنه صادر عن أقوى مخاطِب يتحكم في الكون على الإطلاق، ويدبّر شؤونه بدءا ونهاية. قال تعالى : ﴿وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا..﴾(البقرة : 28). وقال : ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾(الفرقان : 2). وقال ردا على مزاعم اليهود والنصارى ﴿بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء. ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾(المائدة :20).

هكذا يلاحظ أن فعل "خلق" في النصوص القرآنية أعلاه منسوب إلى فاعل أقوى، يسلط فعله على كل الكائنات مما جعل المفعول يأتي بصيغ العموم، فهو أي المفعول جاء "ما" في الآية الأولى، و"كل" في الثانية و"من" في الثالثة.

وهذا ما يؤكد لسانيا أن هذا الفاعل ذو سلطة لا تدانيها سلطة، ومن ثم فخطابه لا يدانيه خطاب. فكيف ينبغي التعامل معه، وما هي الأدوات المناسبة لذلك؟ فكيف ينبغي أن يكون زاد الخطيب والواعظ في هذا المجال؟

أولا : اهمية قواعد اللغة العربية لفهم كتاب وسنة رسوله قال تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾(الشعراء : 195).

وقال : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾(إبراهيم : 38).

والملاحظ أن الآيتين تتضمنان كلمات لافتة للانتباه ينبغي الوقوف عندها لتأملها منها : الروح الأمين- قلبك- لتكون من المنذرين- بلسان عربي مبين- ومنها : بلسان قومه ليبين لهم، وقد وُصف خطاب الحق سبحانه في محكم تنزيله بالمصطلحات التالية :

أ- لسان عربي ثلاث مرات 3.

ب- قرآن عربي ست مرات 6.

هـ- حكم عربي مرة واحدة 1.

ولكل تسمية من بين هذه التسميات دلالتها الخاصة ووظيفتها التي تقوم بها لإبراز أهمية خطاب الحق سبحانه للناس، أو وسيلة تبليغه. ولعل وصف كل مصطلح من بين هذه المصطلحات الثلاثة بصفة عربي يعطي الأولوية لعلم اللغة من بين العلوم المعتمدة لفهم كتاب الله عز وجل وإفهامه ولذا نقول : إن معالجة هذا الموضوع : **أهمية اللغة العربية لفهم كتاب الله عز وجل تقتضي تناوله من زوايا ثلاثة هي :**

أ- القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ .

ب- اللغة العربية بقواعدها المتشعبة الغنية بالرموز المعبرة بدقة عن المقصود.

هـ- الانسان باعتباره أشرف الكائنات على وجه الأرض وهو المعنى بخطاب الحق سبحانه على مراحل (النداء في القرآن).

فالقرآن الكريم باعتباره موضوعا يعني الخطيب والواعظ فمنه يستمدان مواعظهما وتوجيهاتهما للناس، واللغة باعتبارها أداة التواصل التي ينبغي أن توظف بالشكل المطلوب لإفهام الناس أمور دينهم ودنياهم.

● وكتاب الله تعالى لا يقدم عليه سواه، ولذا تبدأ به مع الاقتصار على أمثلة مما يحققه للإنسان من المزايا والفوائد التي تنير له الطريق في حياته العامة والخاصة. أورد أبو حيان في مقدمة تفسيره البحر المحيط الحديث التالي : "ومما روي أن رسول الله ﷺ قال : "إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل فما النجاة منها يا رسول الله؟ قال كتاب الله تعالى..."(الحديث البحر 23/1).

نظرا لهذه الأهمية التي للقرآن الكريم في حياة الانسان المسلم (وفي وقت الشدة) حث الرسول ﷺ المسلمين على تعلمه وتدبره لحل مشاكلهم من ذلك قوله ﷺ : «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة من تمسك به، ونجاة من اتبعه... الحديث».

هذا هو القرآن الكريم كما وصفه الرسول ﷺ فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم".

● والملاحظ أن جملة "وخبر ما بعدكم" تشعر بتحطيم حواجز الزمن كما هو معروف عند الانسان، لان الفاعل القائل ليس كالفواعل المعروفة، وهذا ما يشعر بأن متن القرآن الكريم له خصوصيته التي تجعله متميزا عن لغة الانسان العادية وهذا ما يستوجب معرفة خاصة بقواعد اللغة العربية بالمستوى الذي يمكن من التعامل مع النص القرآني بشكل سليم ومن ثم نصوص الحديث الشريف نظرا لما بين النوعين من ترابط وتكامل في ميدان التشريع، وفي هذا السياق يقول : ابن القطاع : "واعلم أن أفضل ما رغب فيه الراغب، وتعلق به الطالب معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن وورد بها حديث النبي ﷺ ، لتُعلم بها حقيقة معانيها، ولأن لا يَضِلّ من أخذ بظاهرها (أي الحديث والقرآن).

وقال بعض الحكماء : اللغة أركان الأدب، والشعر ديوان العرب، بالشعر نُظمت المآثر، وباللغة نُثرت الجواهر، لولا اللغة ذهبت الآداب، ولولا الشعر بطلت الأحساب بلغة العرب.

نزل القرآن، وبشعرهم مُيز الفرقان، من ذم شعرهم فجر، ومن طعن على لغتهم كفر»(كتاب الأفعال 6/1).

ومما يدل على معرفة شعر العرب يساعد صاحبه على حل بعض الإشكالات التي تعرض لفهم كتاب الله عز وجل ما أورده القرطبي إذ يقول : «سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء في القرآن فيقول فيه هكذا وهكذا أما سمعتم قول الشاعر يقول كذا وكذا».

× وعن عكرمة عن ابن عباس : وسأله رجل عن قول الله عز وجل "وثيابك فطهر" قال : لا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول الشاعر :

فأني بحمد الله لا ثوب غَادِرٍ لبست ولا من سوْءة أتقنَّع

وسأل رجل عكرمة عن الزنيم قال : هو ولد الزنى وتمثل ببيت شعر :

زنيمٌ ليس يُعرف من أبوه بغيُّ الأم ذو حسب لئيم

ومما أورده أبو حيان في هذا السياق قوله : "روى ابن عباس أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : "أي علم القرآن أفضل؟ فقال النبي ﷺ : عربيته، فالتمسوها في الشعر... البحر المحيط 1/52-24.

وقال أيضا : "أعربوا القرآن" والتمسوا غرائبه فإن الله تعالى يحب أن يعرب... وقال رسول الله ﷺ لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة " وقال الحسن : أهلكتكم العُجمة يقرأ أحدكم الآية فيعيا بوجوهها حتى يفتري على الله فيها" البحر المحيط 1/25-24.

× فالعربية من أهم علوم القرآن إن لم تكن أهمها على الإطلاق لأن وجوه فهم القرآن لا تتم إلا بإتقان اللغة العربية التي هي لغة الوحي، وبها بلغه الرسول ﷺ لأمته، وعلى كل من يريد فهمه فهما سليما أن يتقن هذه اللغة، كيف لا وقد قيل "أولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان نبي، ولا يجوز- والله أعلم- أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه.. وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه قال الله عز وجل : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ الآية وقال : ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾.

وقال :﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ وقال : ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾.

قال الشافعي : فأقام حجته بأن كتابه عربي في آية ذكرناها ثم أكد ذلك بأن نفى عنه- جل ثناؤه- كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه : قال تبارك وتعالى : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.

وقال : ﴿لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربية﴾.

× ويضيف وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره : لأنه لا يَعْلَمُ من إيضاح جُمل علم الكتاب أحد جهل سَعَةَ لسان العرب، وكثرة وجوهه.. ومن عَلِمَهُ انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جَهل لسانها" الرسالة 46.

× ويبدو أن بعض البنيات اللغوية أولى من بعض في فهم كتاب الله عز وجل، وفي هذا السياق يقول ابن القطاع : اعلم

تتمة: ص 11

العربية من أهم علوم القرآن إن لم تكن أهمها على الإطلاق لأن وجوه فهم القرآن لا تتم إلا بإتقان اللغة العربية التي هي لغة الوحي، وبها بلغه الرسول ﷺ لأمته، وعلى كل من يريد فهمه فهما سليما أن يتقن هذه اللغة، كيف لا وقد قيل "أولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان نبي، ولا يجوز- والله أعلم- أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه

التكوين المنهجي للقيم الديني

د. عبد الحميد العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل اللهم على من بعثه قائما بأمر الدين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، المبعوث رحمة للمؤمنين، وحجة على العالمين، والحول والقوة لمن لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم.

السيد الرئيس المحترم
السادة العلماء الفضلاء
السادة الأساتذة الأجلاء
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، فقد اقتضت حكمة الخالق أن يعد الخلق لعمارة الأرض وعبادته بها فيسر لهم بموجب ذلك الاقتضاء ما انجلت به الحقائق، وترسمت الطرائق. وسخر من كتب الله لهم الانخراط في الأمور الدينية، ومزاولة الخطط الشرعية، فكان على عاتقهم أمانة التعريف بأسرار التكليف. فهم بهذا المعنى ممن توجه إليهم الخطاب بحراسة تلك الأمانة. ولا شك أن توسم السلامة فيها مقدمة لا تنتج معمولها إلا بامتلاك الآليات والأخذ بالتكوينات.

ولما كان موضوع التكوين المنهجي للقيم الديني له ارتباط بالعلوم الشرعية فقد ناسب أن نعرض لمنهج المتقدمين في رسم حقائقه وتحصيل ضوابطه. وشرط ذلك التحصيل أن يكون خادما لمضامينها، معينا على فهمها. فقد ذهب ابن حجر العسقلاني إلى أن : "أولى ما صُرفت فيه نفائس الأنام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام : الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم آلات لفهمها، وهي الضالة المطلوبة"(1)

والقول بـ"المطلوبة" مشعر بتوقف العلم بالكتاب والسنة على العلوم المعضِدة وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد.

لذلك اشترط حذاق هذه الشريعة على كل من له اشتغال بالنظر الشرعي أن يُجري ذلك النظر على قانون معلوم. ونهج مأموم، تزول به الاعتراضات وتنكشف الإشكالات، قال ابن رشد الحفيد : "إن الإنسان إذا سئل عن أشياء متشابهة في أوقات مختلفة، ولم يكن له قانون يعمل عليه جاوب فيها بجوابات مختلفة، فإذا جاء أحد بعده أن يجري تلك الأجوبة على قانون واحد عُسر عليه ذلك."(2)

ووجه العسرية في خلو العلم عن المنهاج له تعلق بالقاعدة التي نص عليها أهل العلم وهي : "**إن من آفة فقد السبيل أن يمشي الإنسان بغير قبيل وأن يهتدي بغير دليل**".

فهذه مقدمة تنبئ عن قدرة متقدمينا على تصوير المناهج الموصلة والتعلق بالقوانين الفاعلة، والأصل عندنا أن نفيد من علمهم ونستفيد من تجربتهم ولله در محمد بن إبراهيم الوزير عندما نبه على ضرورة إفادة اللاحق من السابق فقال : "إن منزلة المتقدم من المتأخر بمنزلة من استخرج العيون العظيمة واحتقرها، وشق مساقيها وأجراها في مجاريها، وأن المتأخر بمنزلة من نظر في أيها أعذب مذاقا. وألذ شرابا، فلا يعجب من تيسير الأمر وسهولته عليه، أو يظن أن ذلك لفرط ذكائه وعلو همته و..... أنه بسبب سعي غيره قرب منه البعيد، وسهُل عليه الشديد فليكثر لهم من الدعاء"(3)

وبه يعلم أن مضمون الآفة هي أن نفرط فيما سعى إليه غيرنا. إذ الأولى أن نجعله سببا لفهم فنوننا معينا على القيام بواجبنا.

وإذا كنتُ لا أستطيع حمل دعوى الخوض في قضايا المنهاج على شرط واضعيه كصاحب الإبهاج. فإني سأكتفي بتجلية ما هو تكويني في علاقته بما هو منهجي من خلال قضيته يتجاذبها طرفان:

- أحدهما يعنى بجانب الاستحضار، والثاني بحجة الاستظهار.

أولا : جانب الاستحضار

أما الاستحضار : وبابه الافتقار إلى أن يبين القيم الديني العناصر الحاضرة في الموضوع، سواء تعلق الأمر بالوعظ أو الخطبة أو ما شاكلهما.

وقد نبه علماؤنا على تلك العناصر بقولهم : "لا بد لفهم أو تفهم الخطاب من معرفة حال المخاطِب والمخاطَب والخطاب والمقتضيات العامَة لذلك الخطاب : وهذا مما يلزم من العلم به العلم بالأمور الآتية :

1- العلم بحال المخاطب :

وهو عمدة الخطاب وسنام التخاطُب، إذ عليه المعول في البناء والإلقاء، وهذا مشروط بامتلاك القدرات واستثمار المؤهلات لذا نص العلماء على أهمية حضور المخاطِب في تفهيم الخطاب فها هو ابن تيمية يعيب على "قوم فسروا القرآن من غير نظر إلى المتكلم والمنزّل عليه والمخاطب به"(4)

ومما يدخل في معرفة حال المخاطب ومستوى تكوينه : توجيهُ النظر إلَى طريقة إلقائه وضبط مخارجه ورصد حركاته وإشاراته فقد ذهب صاحب المستصفى إلى أن اللفظ "لا يُعرف المراد منه إلا بانضمام قرينة إليه، والقرينة إما لفظ مكشوف وإما إحالة على دليل العقل وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر يختص بدركها المشاهد لها"(5)

ووجه اختصاص المشاهد بدرك الخطاب له علاقة بحال المخاطب، لذا اعتبر أبو حامد الغزالي أن حال هذا المتكلم دليل مستقل في فهم الكلام فقال : "فمن سلم أن حركة المتكلم وأخلاقه وعاداته وأفعاله وتغير لونه وتقطب وجهه وجبينه وحركة رأسه، وتقليب عينيه تابع للفظ، بل هي أدلة مستقلة يفيد اقتران جملة منها علما ضروريا"(6)

2- العلم بالمخاطَب :

والأمر فيه آيل إلى استحضار حال المخاطَبين ومستوياتهم العلمية ومؤهلاتهم الشخصية وما يتبع ذلك من ضرورة وعي الحالات والخصوصيات "فلكل خاص خصوصية تليق به لا تليق بغيره ولو في نفس التعيين"(7)

ومن متعلقات ذلك الرعي الأخذ بالمناسبات وجعلها طريقا للإثمار والاستثمار ومنها أيضا لحظ الأعراف والعادات، وجعلها وسيلة لفهم المستفيدين وتفهم المخاطبين ليستقيم أمر الخطاب على معهود من توجه إليهم الخطاب بالتكليف. فقد حكى المهدي الوزاني عن أبي عبد الله النالي : "أن العادة والعرف ركنٌ من أركان الشريعة عند مالك وعامة أصحابه"(8)

وذكر أبو عبد الله المقري : "أن كل حكم مرتب على عادة فإنه ينتقل بانتقالها إجماعا" وجماع القول أن الأخذ بالأعراف والعادات مما نطقت به النقول في الشرعيات حتى تتحقق صلاحية الشريعة في كل الأوقات ولجميع الأقاليم والجهات ولمختلف الأشخاص والفئات.

لذا اشترط حذاق العلماء في القائمين على الدين أن يكونوا عالمين بأحوال الناس، خبيرين بالبيئات محققين للمناطات. قال صاحب الغياثي : "ليس في عالم الله أخزى من متصد للحكم لوا أراد أن يصفه لم يستطع"

3- العلم بالخطاب نفسه :

وهذا له استمداد من طبيعة النص موضوع الخطاب، فقد نقل صاحب كتاب الزينة عن علي كرم الله وجهه : "أن كلام العرب كالميزان الذي تعرف به الزيادة والنقصان. وهو أعذب من الماء وأرق من الهواء، فإن فسرته بذاته استصعب وإن فسرته بغير معناه استحال، فالعرب أشجار، وكلامهم ثمار، يثمرون والناس يجتنون، بقولهم يقولون وإلى علمهم يصيرون"(9)

ومما يستفاد من كلام علي كرم الله وجهه **ضرورة بناء النص موضوع الخطاب بناء منهجيا يقوم على اعتبار السوابق واستحضار اللواحق لان الاعتماد على فهم النص من ذاته استصعاب، الخروج به عن معناه استحالة** فقد نص الجاحظ في كتاب الحيوان على أن "**للعرب أمثالا واشتقاقات تدل على معانيه ولتلك الألفاظ مواضع أخر، ولها حينئذ دلالات أخر، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة. فإذا نظر في الكلام وليس من أهل اللسان هلك وأهلك**"(10)

وإليه مال صاحب كتاب الزينة فقال : "فالأسماء والصفات إنما هي حروف مقطعة قائمة برؤوسها لا تدل على غير أنفسها، لأن الله عز وجل لا يجمع منها شيئا فيؤلفها أبدا إلا لمعنى "(11)

وقيدُ البُدِّيَّة في المعنى مشروط بالتضلع من آليات بناء الخطاب وتأليف الألفاظ وضبط النصوص ورد النقول إلى أصولها مع توخي الصحة في الاستشهاد، والسلامة في الاستدلال، دون إطناب ممل أو إيجاز مخل.

4- العلم بالمقتضيات العامة للخطاب :

والقاعدة الناظمة له هي السياقات الخارجية. والقرائن الحالية بها فيها فقه الواقع ومعرفة أحوال المخاطبين، وما يتبع ذلك من العلم بأسباب النزول ومواقع الورود، **فقد ذكر الإمام الطبري أنه "غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها"(12)** والقاعدة عندهم "أن كل مسألة تفتقر إلى نظرين : أحدهما في دليل الحكم والثاني في مناطه"(13)

ولفظ المناط اسم جامع لمعاني الواقع من حيث هو واقع، وهو ما يعبر عنه بمحل الحكم الذي يمكن اعتباره منظومة يتوسطها الإنسان. قال الغزالي في مستصفاه : "وأما أهلية ثبوت الأحكام في الذمة فمستفادة من الإنسانية التي بها يستعد لقبول قوة العقل الذي يُفهَم به التكليف حتى إن البهيمة لما لم يكن لها أهلية فهم الخطاب بالعقل ولا بالقوة لم تتهيأ لإضافة الحكم إليها"(14)

والإنسانية كما في عبارة الغزالي عبارة عن صفة حكمية توجب لمن قامت به التهيؤ بقوة العقل لقبول التكليف، وليس الناس في تلك الصفة على وزان واحد لتداخل الحيثيات القاضية بمبدإ العمل بالخصوصيات وضابطه أنه يجب أن نعتبر كل نص وعظي أو خطابي نصا مستأنَفا في ذاته ولو تقدم له نظير.

وشرط رعي هذه المبادئ عند الإجراء مؤذنٌ بارتباط النص بالواقع الذي يُعرف بفن التنويط وهو ما جادت به أنظار السابقين واستُفرغت بسببه جهود المحققين، فكان علمهم بفقههم من علمهم بواقعهم حتى صار فقههم يسير على مقتضى واقعهم، يقول ابن القيم الجوزية : "وهذا محض الفقه، فمن أفتى الناس بمجرد المنقول من الكتب على اختلاف أعرافهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل"(15)

وفي هذا إشارة إلى ضرورة الجمع عند إعداد النص بين المقدمات النقلية والموضوعات المناطية، ومؤداها أن يتحصل للقيم الديني نظران دائران على الأخذ بالخطاب فهما وتنويطا.

ثانيا : جانب الاستظهار

هذا ما يسر الله تقييده في طرف الاستحضار، وبقي الموضع مفتقرا إلى ما يجلي جهة الاستظهار، وكلا الأمرين يدخل في مسمى الانتصار الذي يتحقق من العلم به العلم بالإفادات الآتية :

1- إفادة تتعلق باستظهار النصوص :

والأمر فيها آيل إلى انتقاء ما صح نقله وثبتَ عزْوُه مع وضعه في محله بعد أخذه عن أهله المتحققين به والعمل على تجنب الغريب والضعيف والاعتماد في الاستشهاد على ما تمخضت قوته، وظهرت مناسبته وقلت خلافيته.

2- إفادة تتعلق باستظهار القواعد :

ولا كلام هنا عن القواعد العامة للشريعة الإسلامية. إذ المقصود بها القواعد التي يتميز بها المذهب المعتمد.

ومما يمكن إستثماره في المذهب المالكي :

أ- قاعدة الأخذ بعمل أهل المدينة :

فالاستظهار بها يُعين القيمَ الديني على تعضيد تكوينه وأداء مهمته ومثاله : مسألة ترجيع الآذان التي اعترض فيها أبو يوسف الحنفي على الإمام مالك بقوله : "تؤذنون بالترجيع وليس عندكم عن النبي ﷺ فيه حديث. فالتفت إليه مالك وقال : يا سبحان الله. ما رأيت أمرا أعجب من هذا!.. يُنادى على رؤوس الأشهاد في كل يوم خمس مرات يتوارثه الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا يحتاج فيه إلى فلان عن فلان، هذا أصح عندنا من الحديث"(16)

وقد ثبت كذلك أن أبا يوسف أخذ بمقدار صاع أهل المدينة، فلما سُئل في العراق عن سبب ذلك، و هل فيه رجوع عن المذهب أجاب فقال : "إنما رجعتُ من الظن إلى اليقين.

ب - ومن المسائل التي يُمكن الاستظهار بها من أصول المذهب : قواعد مراعاة الخلاف والخروج من الخلاف وتجنب الخلاف.

وصورة التجنب كما لو صلى مالكي وراء إمام ظهرت حنفيته بعد الدخول في الصلاة. فالقاعدة تقتضي المتابعة لا المقاطعة تجنبا للخلاف. قال صاحب التلقين : "وقد حكى حذاق أهل الأصول إجماع الأمة على إجزاء صلاة الأئمة المختلفين بعضهم وراء بعض لأن كل واحد منهم يعتقد أن صاحبه مصيب.

29 ربيع الأول 1431هـ - 16 مارس 2010 م- العدد: 336

التكوين اللساني للقيم الديني (تتمة)

أن الأفعال أصول مباني أكثر الكلام، ولذلك سمتها العلماء الأبنية، وبعامها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة وهي حركات مقتضيات، والأسماء غير الجامدة والنعوت كلها منها مشتقات... " كتاب الأفعال 8/1.

● إن الأمر يقتضي فهم طبيعة بنيات الكلمات في اللغة العربية، وضبط أدواتها لأجل استنطاق النص القرآني استنطاقا ذاتيا كلما دعت الضرورة لمعالجة مستجد من مستجدات الحياة، أو للاستشهاد على نازلة من النوازل دون الإخلال بمضمون النص، أو تنزيله في غير محله.

هذا أمر ممكن بالنسبة لمن ضبط قواعد اللغة العربية، وسلم قصده لطلب الحقيقة دون سواها من الأغراض التي قد تشوش على المقاصد النبيلة، ولذا **يقول أبو حيان : "ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة، وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى حسن معرفة تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من الألفاظ إلى مُفهم، ولا مُعلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه، فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم..."**(البحر المحيط 13/1).

● وتعرف أحوال بنية الكلمة العربية في علم التصريف، ولذا قيل : "إن العلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها...

● قال ابن فارس : من فاته علمه، فاته المعظم لأن نقول "وَجَد" كلمة مهملة، فإذا صرفناها اتضحت، فقلنا في المال : "وُجداً" وفي الضالة "وِجْداناً" وفي الغضب "مَوْجِدة" وفي الحزن "وَجْداً قال تعالى : ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ وقال تعالى : ﴿واقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ فانظر كيف تحول المعنى بالتصريف من الجور "القاسطون" إلى العدل "المقسطين" ويكون ذلك في الأسماء والأفعال فيقولون للطريق في الرمل "خِبَّة" وللأرض المخصبة "خُبَّة" وغير ذلك.

وثمة أفعال تتجلى فيها الفروق الدقيقة بالتصريف مثل فعل "ق رُ ب" فحرف الراء الذي يمثل عين الكلمة محتمل للحركات الثلاثة، الفتحة، والضمة، والكسرة، ولكل شكل دلالته الخاصة المختلفة عن دلالة الشكلين الآخرين، والفروق دقيقة.

يقول ابن منظور :

– قَرُب الشيء بالضم يقرُب أي دنا.

قال تعالى : ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ جاء في التفسير أخذوا من تحت أقدامهم. وقوله تعالى : ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾.

ب– التهذيب : وما قَرِبْتُ هذا الأمر ولا قَرَبْتُه، قال تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾، وقال : ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ وقَرِب الشيء دنا منه، وقَرَبْت أقرب قرابة مثل كتبت اكتب كتابة إذا سرت إلى الماء وبينك وبينه ليلة»(ل ع 666/1) هذا بالإضافة إلى تنوع مصادر قَرُب بالضم لانها، يقال : "قَرُبَ الشيءُ منا "قُرْباً" وقرابة" و"قُربة وقُربى (ف) يقال : القُرْبُ في المكان، والقربة في المنزلة والقُربى والقَرَابة في الرحم.

● **لهذا كان علم التصريف من أهم علوم العربية، وفيه يقول ابن عصفور : "التصريف أشرف شَطْرَيْ العربية وأغمضُها، فالذي يبين شرفه : احتياج صيغ المشتغلين باللغة العربية من نحوي، ولغوي إليه أيما حاجة لانه ميزان العربية..."**

ويمكن أن نُلخِّصَ الحد الأدنى الذي ينبغي تحصيله بالنسبة للقيم الديني من اللغة العربية، فيما يحفظ لسانه من اللحن وذلك بأن يضبط وظائف العلامات الاعرابية التركيبية من نصب، وجر ورفع . يقول الزمخشري : وهو يتحدث عن علامات الاعراب ووظائفها (العامة) : "هي الرفع، والنصب، والجر، وكل واحد منها علم على معنى. فالرفع علم الفاعلية، والفاعل واحد ليس إلا. وأما المبتدأ وخبره، وخبر إن وأخواتها...إلخ فملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب. وكذلك النصب علم المفعولية، والمفعول خمسة أضرب : المفعول المطلق والمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول له.

والحال، والتمييز، والمستثنى المنصوب، والخبر في باب كان، والاسم في باب إن، والمنصوب بلا التي لنفي الجنس، وخبر ما، ولا المشبهتين بليس فملحقات بالمفعول..."

● يستفاد من هذا النص أنه ينبغي ضبط التصور العام للأصول والفروع في أبواب النحو، مع الانتباه إلى الوظائف المتنوعة الناتجة عن تنوع التسميات في باب واحد. فإذا تأملنا مثلا تسميات المفعولات فإننا نلاحظ أن لكل مفعول وظيفته الدلالية العامة والخاصة، ونعني بالوظيفة العامة أن كل تسمية تستعمل في مجال معين من مجالات الخطاب فمجال المفعول به، غير مجال المفعول المطلق، ومجال هذين غير مجال المفعول فيه، أو له، أو معه، ولذا صار لكل مفعول تعريف خاص يحدد مجال وظيفته التي له نسْبةٌ من العموم فيها، فالمفعول به ما وقع عليه فعل الفاعل (238) والمفعول المطلق هو المصدر المؤكد بعامله، أو المبين لنوعه، أو لعدده (249) والمفعول له : اسم يذكر لبيان سبب وقوع الفعل (200هـ) والمفعول فيه : ما ذكر فضله لأجل أمر وقع فيه (254) والمفعول معه : اسم يقع بعد واو بمعنى «مع» على ما وقع الفعل بمصاحبته (202هـ).

هذا بالنسبة للوظيفة العامة التي تعني التفريق بين المجالات.

أما الخاصة فهي دلالة كل مفعول في مجاله باعتباره قيمة مميزة بين الكلمات في المعجم العربي، ولذا ينبغي الوقوف عند الكلمات التي تميز كل نوع من غيره أثناء الخطاب : مفعول + قيد مميز لنوعه مثل + به + مطلق + فيه + له + معه. وذلك لتوظيفها بالشكل المناسب في السياقات التي ترد فيها، فمثلا ما دلالة المفعول به في الآيات التالية : ﴿وورث سليمان داوود(النحل : 16)، و﴿إن الله بالغُ أمْرَه﴾(الطلاق : 3)، و﴿ولولا دفاع الله الناس﴾(البقرة : 251)، و﴿عليكم أنفسكم﴾(المائدة : 105).

وما دلالة المفعول المطلق في مثل قوله تعالى : ﴿وكلم موسى تكليما﴾(النساء : 164) وقوله : ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾(النساء : 129)، وقوله : ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾(النور : 4) وقوله : ﴿كذبوا بآياتنا فأخذناهم أخْذَ عزيز مُقتدر﴾(القمر : 42).

وماذا يفيد المفعول لأجله في قوله تعالى : ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾(البقرة : 19) وقوله : ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾، وقوله : ﴿اذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية﴾(ق : 210)، وأي معنى لمفهوم الظرفية في السياق الذي وردت فيه كما في الآيات التالية ﴿إنه على رجعه لقادر يومَ تبلى السرائر﴾ وقوله : ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ وقوله : ﴿ماكثين فيها أبداً﴾ وهكذا...الخ.

وعليه ينبغي الوقوف عند كل آية ورد فيها مفعول من بين هذه المفعولات لمعرفة دلالتها في السياق العام لكتاب الله عز وجل!.

ونختم بقول الشاعر في مدح قواعد اللغة العربية

النحو يبسط من لسان الألْكن
والمَرْء تكرمه إذا لم يَلْحَن
وإذا طلبت من العلوم أجلها
فاجلها نفعًا مُقيم الألسُن
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

(*)- و(1)هذا ما يخص الموضوع (2) وهو مجال القيم الديني اللساني المقصود بالدرجة الأولى (3) وقلنا الحد الأدنى لأن المستويات متفاوتة. والحد الأعلى غير مقيد نظرا لطبيعة النص الإعجازية (4) وهو أمر لا تكاد القواعد تضبطه. لأنه بتوقف قدرات المعنى وكفاءته.

القرآن الكريم باعتباره موضوعا يعني الخطيب والواعظ فمنه يستمدان مواعظهما وتوجيهاتهما للناس، واللغة باعتبارها أداة التواصل التي ينبغي أن توظف بالشكل المطلوب لإفهام الناس أمور دينهم ودنياهم

3- إفادة تتعلق باستظهار الأحكام :

والأحكام جمع مفرده حكم. وهو في اصطلاح المتشرعة خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين طلبا أو وضعا أو تخييرا.

والخطاب اسم جنس يشمل العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات.

والقيم الديني مطالب باستظهار الأحكام الشرعية على مقتضى مذهب السادة المالكية لا سيما إذا تعلق الأمر بالأحكام التكليفية التي يُعتمد في تقريرها قول الناظم :

وما يجوز به الفتوى المتفق
عليه فالراجح سوقه نفق
وبعده المشهور فالمساوي
إن عُدِمَ الترجيح للتساوي

ويدخل فيما نحن فيه الأخذ بما جرى به العمل بضوابطه كما في قول الناظم :

والشرط في عملنا بالعمل
صدوره عن قدوة مؤهل
معرفة الزمان والمكان
وجود موجب إلى الأوان

وبناء على ما تمت الإفادة به ارتأيت ألا أخلي الموضع عما يصور ما ألمعتُ إليه وذلك من خلال مسألتين : إحداهما لها تعلق بتبين الأصل في الحكم الشرعي. والثانية ببيان صفة ذلك الحكم.

أ- تبين الأصل في الحكم الشرعي :

وصورته صدور الخطإ أو النسيان عن الإمام في صلاة الجنازة إذ لا محل للجبر فيها لغياب صفة السجود عن هيآتها، وقد وقع الخلاف في حكمها بين قائل بالإمضاء وقائل بالإعادة.

إلا أن الرجوع إلى الأصل الشرعي للنازلة يقرب من طبيعة ذلك الخلاف ومصدره ما أخرج أبو حنيفة عن إبراهيم ومالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يكبر على الجنائز أربعا أو خمسا أو أكثر. وكان الناس في ولاية أبي بكر على ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه ورأى اختلافهم جمع أصحاب محمد ﷺ، فقال : يا أصحاب محمد ﷺ، متى تختلفوا يختلف من بعدكم، فأجمعوا على شيء يأخذ به من بعدكم، فأجمع أصحاب محمد أن ينظروا إلى آخر جنازة صلى عليها رسول الله ﷺ حين قُبض فيأخذون بذلك ويرفضون ما سوى ذلك, فنظروا إلى آخر جنازة كبر عليها رسول الله ﷺ حين قُبض أربع تكبيرات فأخذوا بأربع وتركوا ما سواه"(17).

فالوقوف على أصول الأحكام مما يحتاج إليه في تبين طبيعة الفقه.

ب- التحقق من صفة الحكم :

ومثاله القول في حكم سلام خطيب الجمعة فوق المنبر.

فالشافعية بنوا أقوالهم على الندب. والمالكية على الكراهة.

ومسند المذهب الشافعي ما أثر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا صعد المنبر يوم الجمعة جلس ثم سلم، وما ثبت في السنة أنه يُندب للمرء السلام في الاستقبال الذي يعقُبُ الاستدبار، ووضع الخطيب بعد الجلوس يقتضي ندب السلام على الناس.

أما مستند المالكية في الكراهة ما أُثر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا خرج للناس يوم الجمعة سلم قبل أن يصعد المنبر.

ومن العقل أن المصلين أثناء صعود الخطيب يكونون في حالة خشوع وتضرع، والسلام عليهم وما يقتضيه الأمر من وجوب رد السلام، فيه تشويش على أوضاعهم، فكان الحكم بالكراهة من لوازم ذلك التشويش.

هذه أهم الإفادات التي يمكن للقيم الديني أن يستظهرها أثناء بناء النص أو إلقائه.

وبه يُعلم أن الجمع بين طرفي الاستحضار والاستظهار مما يعين على رسم معالم التلقين، والنهوض بمستوى التكوين.

نرجو الله تعالى أن يكون ما قُدم في هذا العرض نافعا في بابه وأن يجد محلا عند سامعه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

1- هدي الساري 5/1
2- بداية المجتهد 104/2 بتصرف
3- القواعد في الاجتهاد بتصرف
4- الشاطبي في الموافقات
5- مقدمة في أصول التفسير 79
6- المستصفى 185/1 // 7- نفسه 42/2
8- الشاطبي في الموافقات
9- النوازل الكبرى 382/1
10- القاعدة رقم 1037
11- الغياثي 300 بتصرف
12- كتاب الزينة 62/1
13- كتاب الحيوان 153/1 بتصرف
14- كتاب الزينة 67/1
15- جامع البيان 389/9
16- الاعتصام 161/2 // 17- المستصفى 84/1
18- ترتيب المدارك 124/2 والموافقات 66/3
19- التلقين 2/ 496 // 20- الفتوحات الإلاهية ص 39

خلق القيم الديني

د. عبد الحق ابن المجذوب الحسني

أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله.

مداخلتي بعنوان : "خلق القيم الديني" والتي هي عبارة عن بعض الصفات الحميدة التي ينبغي لكل من الخطيب، والواعظ والداعية إلى الله بصفة عامة الاتصاف بها إذا كان هدفه تقديم خدمة جليلة للمجتمع من خلال الوافدين عليه في بيوت الله لسبب جوهري واضح يتجلى في أن الإسلام دين الأخلاق الفاضلة، والسجايا الحميدة، والسلوك القويم، ولأن النبي ﷺ إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ويوطد دعائم الفضيلة بين البشر، فوسمه ربه بأعظم وسام رفع به قدره عاليا في الأنام عندما خاطبه جل من قائل بقوله الأزلي الخالد : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

والقيم الديني إماما وخطيبا وواعظا لا ينسجم مع هذا الدين الحنيف، ولا يرقى إلى مستوى الدعوة إليه، والتبشير بمبادئه ومثله، وتمهيد الطريق أمام الناس ليستضيئوا بنوره، ويستمتعوا بسماحته، وينعموا برحمته إلا إذا هذب طباعه وجمل أخلاقه، وقوم سلوكه، وتحلى بالآداب الشرعية العالية، حتى لا يرى الناس منه، ولا يأخذوا عنه إلا الخصال النبيلة، والخلال الجليلة، التي تشرفه وتشرفهم، وتزكي نفسه ونفوسهم، وتجمل حياته وحياتهم، وتسدد خطواته وخطواتهم على طريق الله المستقيم. وموقع الواعظ أو الخطيب في أمته يفرض عليه لكي يكون قدوة حسنة للناس في أخلاقه أن يتحلى بمكارم الأخلاق، ويتشبع بالشيم الرفيعة، ويتخلق بآداب الإسلام الرائعة، التي يأتي على رأسها الصدق والطهر والعفة والتواضع والحلم والرفق والرحمة. وأن يتحاشى الرذائل وكل الأخلاق السيئة، التي لا تناسب الإسلام والمسلمين، ولا تشرف الدين والمتدينين، وعلى رأسها : الكبر والغرور والجشع والأثرة والغِلظة والجفاء والحسد والرياء.

وإذا كانت هذه الأوصاف أبرز ما ينبغي الإقبال عليه من لدن المسلمين بصفة عامة، وخطيبهم وواعظهم بصفة خاصة، لتَمَسُّك كل منهما بأخلاق رسول الله ﷺ المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، **فينبغي للقيم الديني أن يضع نصب عينيه هدف تقويم ما اعوج من أخلاق الناس، وتوجيه سلوكهم، وإرشادهم للتي هي أقوم، وبيان ما تضمنه هذا الدين من سلوك طيب، ومُثل عليا، ومع ذلك فإن نجاحه في مهمته هاته يكمن في مدى قدرته على أن يُشيع في قلب المؤمن، الخشية والطاعة والاستجابة، ومدى تطبيق ما يأمر به غيره على نفسه. ولتسْهُلَ عليه هذه المأمورية، فعليه أن يتصف (فضلا عما سبق) بمجموعة من الصفات أهمها : أن يكون عالما، ذكيا، ذا بصر بشؤون الحياة، قادرا على إحداث التأثير والتغيير في سامعيه، مسايرا للتطور والتجديد في الفكر والعلم ومشاكل العصر، متصلا بالمجتمع، متفاعلا معه، خبيرا بالناس، طبيبا لأرواحهم، مؤثرا بعمله وسلوكه أكثر مما يؤثر بقوله وتوجيهه.**

إن رسالة هذا القيم الديني تتجلى في محاربة البدع والمنكرات بالحكمة والموعظة الحسنة، التي هي من أخلاق الأنبياء والمرسلين، والدعاة إلى الله. فعليه أن يقتفي آثارهم ويسلك سبيلهم حتى في لباسهم وهندامهم، علما منه أن أول ما يقع عليه جمهوره والمستمعون إليه يقع على مظهره الخارجي قبل الاستماع إلى مواعظه ونصائحه. فإذا كان هذا اللباس نقيا أبيض ناصع البياض، شد له جمهوره أكثر، واحترموا فيه -فضلا عن علمه- أناقته، لأن ذلك يدل من ناحية أولى أنه يستجيب لقول الله تعالى : ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾، كما يدل على كمال فقهه وتمام وعيه، بمقامه في بيت الله، واقتدائه فيه بالنبي ﷺ والسلف الصالح من صحابته الأبرار وأئمة المسلمين الأخيار، والمغاربة الأصلاء الذين يفتخرون بهندامهم ولا يريدون به بديلا.

رسالته تفرضُ عليه أيضا أن يفكر من خلال الجهود التي يبذلها في هذا الطريق الشاق، وفي الثغرات التي يجب أن تُعالَج في مجتمعه. **إذ ليس من شك في أن الخطابة والوعظ والإرشاد سلاح من الأسلحة القوية التي بواسطتها يستطيع أن يحقق أهدافه المتوخاة، وهي محاربة للأمراض التي يعاني منها الوسط الذي يعيش فيه.**

وإذا نظرنا إلى بعض موضوعات الخطب والوعظ، وجدنا كثيرات هي التي يعتريها ضعف وفتور، لا سيما عند من لا يقدر مسؤوليته، كالذي لا يخصص وقتا كافيا للتفكير، كيف يبدأ الموضوع، كيف يعرضه؟ وكيف يختتمه؟ وما هي عناصره؟ ثم كيف ينتقل من فكرة إلى فكرة؟ ومتى يظهر انفعاله ويؤثر في الحاضرين، الذين اجتمعوا حوله تحدوهم الرغبة في الاتعاظ وأخذ العبرة، وإصلاح حالهم، والعمل لآخرتهم. **وفي هذا الإطار ينبغي أن لا يكون الموضوع لا صلة له بحياة الناس وواقعهم الاجتماعي، بعيدا عن المشاكل التي يعيشونها ويبحثون عن حلها حلا إسلاميا صحيحا يخفف عنهم وطأة هذه المشاكل، سواء كانت أسرية أو اقتصادية أو اجتماعية. ولن يستطيع الحديث في هذا الجانب ما لم يكن فاهما لروح عصره، مدركا لما يجري في محيطه، متسلحا بأفكار إسلامية نيرة، يستطيع أن يواجه بها الأفكار الإلحادية التي تحارب الإسلام،** لأن هذا العصر الذي نعيشه يمتاز بصراع فكري، ولا يمكن للمسلم أن يصمد أمام هذا الصراع إلا إذا كان مسلحا بقوى هائلة من دعاة وخطباء مؤمنين به فاهمين له، متشبعين بروحه.

فإذا كان الداعية على هذا المستوى، فإنه سرعان ما يلتف الناس حوله، وينوهون بشأنه، فإذا أضيف إلى ما سبق من الصفات صفة العفة والإيثار، وتحمل الأذى، والتذرع بالصبر والصفح والعفو، والتحلي بروح التسامح وسعة الأفق، وتجنب التفكير في الانتقام لنفسه، كان جديراً باقتداء الناس به.

أيها الاخوة الكرام :

إن المسلمين اليوم مطالبون أن يكونوا في مستوى رسالة دينهم العظيم، جهادا في سبيل الحق، وحربا على الإلحاد والشرك والمادية العمياء، وذيادا عن الحرمات وكرامة الإنسان، ونشرا للسلم، وتحقيقا للأخوة والتضامن بين المسلمين، وإقامة لشريعة الله، استجابة لنداء الحق : ﴿الذين إن مكانهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الامور﴾.

ومن هذه الرسالة السامية التي تستقطب مظاهر عمل الخطيب والواعظ، يجب أن تنبثق رسائل العمل الإسلامي، ومناهجه وخططه، وترتيباته لخدمة كل جوانب تلك الرسالة. وتتبع فروعها، وتفاصيلها في كل واجهة من واجهات المعركة التي يخوضها الإسلام ضد قوى الشر.

أيها الإخوة الكرام :

لا ينكر أحد أن القيمين الدينيين أصبحوا أكثر من أي وقت مضى يشعرون بهموم مجتمعاتهم، وقضايا شعوبهم، واحتلت هذه الهموم والقضايا موقعا في ضمائرهم، وأصبحت من الانشغالات اليومية، التي تهجم على فكرهم، ووجدانهم وإذا كان الاهتمام بقضايا المجتمع أمرا واجبا، وأن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، **فإن كلا من خطيب الجمعة والواعظ يعيش اليوم عصرا أفلست فيه الايديولوجيات المادية التي يشن أصحابها هجمة شرسة على قيم الإسلام وأحكامه ونظامه وشريعته، فعليه أن ينبه الأمة إلى ما يحيط بها، ويحضها على التمسك بهدي دينها في بناء الدولة، وفي الاجتماع والاقتصاد والثقافة وغيرها، لأن في سكوته خذلانا لأمته وخيانة للأمانة، وتلبيسا على الناس.**

ونحمد الله تعالى أن خطباءنا ووعاظنا بعيدون عن هذه الاوصاف السيئة، متشبثون بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، عاقدون العزم على الإصلاح، وإسداء النصيحة لبلوغ الأهداف المتوخاة، وليس ذلك بعزيز على نخبة من أبناء هذا الوطن العزيز، شغلهم الشاغل الوصول بأبنائه إلى ما يرضي الله ورسوله، ويحقق لهم الطمأنينة الدائمة، والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من احسن عملا﴾ صدق الله العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله

خاص بالمشتركين

- حمادي الهديوي -الحسيمة.
- بوشلاغم فاطمة -فاس
- عبد الحفيظ حواتي -البيضاء.

الجريدة ترجع إلينا فالرجاء تصحيح العنوان أو موافتنا بعنوان جديد. وشكراء

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

- داخل المغرب : 60 درهما.
- خارج المغرب :

20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

- جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
- أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014
- أو الأستاذ **المفضل فلواتي** على الحساب البريدي رقم : P 11329 **الرباط**.

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات
فاس - المغرب

الطيب ينفعك، والخبيث يؤذيك

ذ. محمد ابن شقرون

قديما قالوا : قل لي من ترافق، أقل لك من أنت. ويقال أيضا : الإنسان ابن بيئته.

من هذه الأمثلة، وغيرها، يفهم أن الإنسان يعيش وسط مجتمع مكون من أفراد وجماعات، والناس فيه أصناف ومعادن، والعلاقات الإنسانية ضرورية لتتم الرسالة التي من أجلها خلق الله سبحانه هذا الإنسان، فعلى نطاق الأسرة، مثلا وهي الخلية الأولى لكل مجتمع، يعيش الفرد وسط أعضاء تختلف عقلياتهم وأمزجتهم، من حيث السلوك، والأخلاق، ومن حيث المصالح المشتركة والخاصة، لكن هناك رابطة قوية تحت ظل الأبوين اللذين يبذلان جهودا كبيرة من أجل تمتين الصف الأسروي، على الأقل في المراحل الأولى لحياة الأفراد، قبل أن يُكوِّن كل واحد أسرته ويستقل بذاته.

أما على نطاق المجتمع، فهناك علاقات بين فرد وآخر وبين فرد وجماعة، وبين جماعة وأخرى مثلها، ودائما يبقى الفارق واضحا في الطبائع والعقليات والميولات الخاصة.

فأنت أيها القارئ الكريم ترافق أشخاصا تستأنس بهم وتجد الراحة والطمأنينة معهم، طبعا بعد الاحتكاك والتعامل معهم. وقديما قيل أيضا : لا تمْدَحْ لا تذمْ مَنْ لاَعاشرْتَ عَامْ، يفهم منه الذين وضعت ثقتك فيهم، والذين يحافظون على أسرارك الخاصة، وتجد صدورهم، دائما مفتوحة إليك، يبشون في وجهك كلما التقيت بهم، وتجد المساعدة الكاملة منهم، يجتهدون دائما فيما يسعدك، مثل هؤلاء تشبعت قلوبهم بتقوى الله جل جلاله، وخبروا الحياة حلوها ومرها، وعرفوا أن أخاك من واساك في السر والعلن، لا من يظهر لك شيئا ويضمر عكسه، مثل هؤلاء، وإن كانوا قليلين لا بد لك منهم، فابحث عنهم. فالحياة ليست سهلة هينة، كما يظن البعض، والخير لا يخلو من هذه الأمة على الدوام.

يبقى بعد ذلك كيف تكسب مثل هؤلاء الإخوة الذين تتوفر فيهم شروط الأخوة؟

اقرأ، أخي العزيز، وافسح المجال لفكرك بتدبر ويتعمق في المعاني القريبة والبعيدة في معنى هذ الحديث الشريف :

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما ان تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، إما أن تجد منه ريحا منتنة»(رواه البخاري ومسلم).

الكثير منا يقتني عطرا ، طبعا من بائع العطور. فبمجرد وصولك إلى متجره، وفي جميع البلدان وبدون استثناء ما إن تقرأ عليه السلام وتطلب نوعا من العطور، حتى يريك علبة أو زجاجة ثم يرش يديك منه لتتأكد من رائحته الطيبة وتقبل شراءه.

إذا فبائع العطور ينفحك بعطره أو يعطيك منه أو يهديك، هذه المعاني هي المقصودة، والله أعلم.

من معنى ما ورد في الحديث الشريف ﷺ : «فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه..».

في لسان العرب الجزء الرابع عشر ص 171 : أحذاه يحذيه إحذاء وحذية وحذيا مقصورة وحذوة إذا أعطاه.

ففي الحديث الشريف تشبيه بليغ بمن يجالس الصالحين من هذه الأمة المرحومة، بإذن الله فهم الذين يزودونك بالزاد الروحي الذي ينفعك دنيا وأخرى، ويجعلونك ترقى في مدارج الإيمان إلى أن تلقى الله سبحانه وهو عنك راض.

قال الشاعر :

صحبة الصالحين بلسم قلبي
إنها للنفوس أعظم راقي

ابتعد أخي القارئ عن مجالس السوء والأشرار من الناس، الذين شبههم ﷺ بنافخ الكير وهو الحداد الذي يؤذي شرر ناره وسواد دخانه ولا يصيبك منه إلا الخزي والهم والغم دنيا وأخرى. والإشارة هنا -بطبيعة الحال- إلى ما في معنى مهنة الحدادة، لا بأشخاص الحدادين أنفسهم.

ويرد المثل في القرآن الكريم والحديث الشريف للشأن العظيم والأمر الغريب وتقريب البعيد وتوضيح المبهم.

قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾(العنكبوت : 43).

والأمثال كذلك تؤثر في النفوس، ولذلك أكثر منها القرآن الكريم والحديث الشريف. وقد اقتطفت من الشابكة (الانترنيت) هذين النصين المتعلقين بما يدور حول معنى الحديث الشريف : وقد أخذا من خطبة يوم الجمعة بمكة المكرمة بتاريخ 1422-5-27هـ لفضيلة الشيخ عمر السبيل اختصرته في السطور التالية :

إن شر الأصحاب على صاحبه، وأسوأهم أثرا على جليسه، من ضعفت ديانته وساءت أخلاقه، وخبثت سريرته، ولم تحمد سيرته، من لا هم له إلا في تحقيق مآربه وأهوائه، ونيل شهواته ورغباته، وإن كان على حساب دينه ومروءته، ولربما بلغ الحال في بعض هؤلاء ألا يقيم للدين وزنا، ولا للمروءة اعتبارا، ولا يرى للصداقة حقا، فمؤاخاة هذا وأمثاله ضرب من العناء، وسبيل من سبل الشقاء، لما قد يجلبه على صاحبه وجليسه من شر وبلاء بصده عن ذكر الله وطاعته، وتثبيطه عن مكارم الأخلاق ومقتضيات المروءة، وتعويده على بذاءة اللسان والفحش في الكلام، وحمله على ارتكاب أنواع من الفسق والفجور والأخذ به على سبيل اللهو واللعب، وضياع الأوقات فيما يضر ولا ينفع من أنواع الملهيات والمغريات، وتبذير الأموال في صنوف المحرمات.

ولنتأمل يا عباد الله في حال من ابتلوا بإدمان المسكرات وتعاطي المخدرات، واقتراف الفواحش والمنكرات، واكتساب الأموال المحرمة من ربا ورشوة وغيرها من المكاسب الخبيثة، وما هم عليه من سوء الحال في أنفسهم وأهليهم وما كان لهم من أسوأ الأثر على من يخالطهم ويصافيهم.

فمن شقاء المرء أن يجالس أمثال هؤلاء الذين ليس في صحبتهم سوى الحسرة والندامة، لأنهم ربما أفسدوا عليه دينه وأخلاقه، حتى يخسر دنياه وآخرته وذلك هو الخسران المبين، والغبن الفاحش يوم الدين كما قال سبحانه : ﴿ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾(الفرقان : 29-27)

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما يا أرحم الراحمين.

أخيرا تم ضبط رجال ونساء التنصير في بلادي...

ذ. محمد بوهو

أخيرا تم ظبط خفافيش الظلام، الذين يعيثون في الأرض فسادا.

في خبر بثته القناة الأولى والثانية المغربيتين مفاده توقيف 16 فردا يعملون في مركز عين اللوح متلبسين بأعمال تنصيرية، وذلك بتوزيع كتب وأشرطة وأقراص مدمجة لأطفال قاصرين قصد التأثير فيهم وبث تعاليم المسيحية في عقولهم وكسب قلوبهم....

كان الخبر معروفا، ومعلوما. لكن لم يكن أحد يصدق.. كان الناس يقولون هؤلاء يخدمون المصلحة العامة وغرضهم إنساني لا غير...

ومع مرور الوقت ظهرت الحقيقة، وظهر ما كان مضمرا وغائبا عن أعين الناس.

أذكر أنني كتبت حول هذا الموضوع.. وقلت فيه إننا هنا في منطقة الأطلس المتوسط لازلنا نعاني من خطر التنصير ولا يزال مهيمنا ورائجا في أنجاء المنطقة :

أولا- في عين اللوح مركز اجتماعي عرف منذ سنوات وكان دائما يستر خططه بالأعمال الاجتماعية والخدمات الإنسانية.. والناس (في البادية) يجدون ضالتهم في ذلك المركز .. فمن طالب للدواء، ومن طالب للمساعدة المادية، ومن راغب في تسجيل ابن لقيط (من الزنا) لكي يأكل ويشرب ويلبس... وعلمت أنهم في هذا المركز يقومون بإعطاء الصدقات يوم الجمعة (!!!) فيوزعون الخبز والزبدة وغيرها من المواد الأساسية كالسكر والشاي... وأيام الأعياد مثل عيد الأضحى يعطون للناس الوافدين عليهم مبالغ تساعدهم على شراء الأضاحي (من شهود عيان كانوا يتوصلون بمبلغ 500 درهم للفرد كل مناسبة).... بالإضافة إلى أنهم كانوا يستغلون المناسبات الوطنية مثل عيد العرش وعيد الشباب وغيرها ويستدعون رجال السطلة ورجال الأعمال والمحسنين المتعاطفين ويكرمونهم بإلقاء الكلمات وتوزيع التكريمات وغير ذلك... والهدف دائما هو كسب الثقة والأمان من لدن الجميع لكي يحققوا أغراضهم المعروفة...

ثانيا- في ناحية أزرو (منطقة توملیلين، قرب خرزوزة) هناك مبنى يأوي الأطفال اللقطاء ويرعاهم، كنا نعرفه منذ طفولتنا، ونمر عليه ونحن في نزهة إلى تلك المناطق الخلابة من بلدنا، وهذا المركز له مقومات مركز إيواء اليتامى.. والهدف هو تربيتهم على التعاليم المسيحية بطريقة لا يشعرون بها (بالتدرج، والنمطية السيكولوجية....) فمن خلال الحفلات ومن خلال الرسوم، ومن خلال مقررات التعليم والثقافة والتربية.. يتم غسل الأدمغة وجعلها في الطريق المهيأ لاستقبال التعاليم المسيحية بسهولة...

ثالثا- في أوكماس مركز يشبه الذي في عين اللوح!!!، وهذا المركز له خدمات أخرى إضافية أكثر من الذي في عين اللوح، فبالإضافة إلى أنه يأوي أطفالا، يقوم ببعض الأعمال والخدمات الاجتماعية... وأذكر أن الناس هناك (لأنني من تلك المنطقة..) يُشيدُونَ كثيراً بسيارة هذا المركز (شبيهة بحَافلة المسافرين) التي تنقل الناس يوم الثلاثاء (يوم السوق في أزرو) أفواجا أفواجا وتبقى في المساء لكي ترجعهم إلى ديارهم.. وهناك أشياء أخرى..

رابعا- هناك أفراد منصرين يسكنون في منطقة ابن الصميم، ولهم تاريخ في سكنى هذه المنطقة، ويرثون المنازل أبا عن جد، وعلمت من بعض المعلمين أنهم كانوا يوزعون بعض الكتب الصغيرة المصورة للصغار، للتبشير بالمسيح وتعاليمه (كان هذا في سنة 2000- 2001)...

وفي الآونة الأخيرة تطورت أساليبهم وأصبحت لهم طرق عديدة ومبتكرة في التنصير ونشر المسيحية... ومهما تبرأ كبار مسؤوليهم في الرباط (الأسقف الكبير في الكنيسة) من تلك الأعمال فهم لن يتوقفوا عن ابتكار أساليب أخرى للتنصير..

عبرة

قال أبو إسحاق السبيعي رحمه الله (لا إله إلا الله، كبر سني ورق عظمي وذهبت الصلاة مني، فلم أعد أقوم إلا بالبقرة وآل عمران)، فتأمل يرعاك الله في هذا العابد الزاهد كيف تحسر على فوات طول القيام ومكابدة الليل في التهجد والصلاة، والتقرب إلى رب الأرض والسماوات. ثم انظر إليه وقد كبر سنه ووهنت العظام منه. ثم هو بعد يقوم الليل بالبقرة وآل عمران.

سبحان الله سبحان الله ما أعلاها من همم وما أشدها من عزائم!!!. يرحمك الله يا أبا إسحاق، لو رأيتنا وقد زهد بعضنا في الصلاة المفروضة، ولا يأتيها بعضنا إلا وهم كسالى. يستعجلون أداءها، ولا يتمون ركوعها وسجودها، كأن لسان حالهم يقول : "أرحنا منها يا إمام!!".

هذه حالنا مع الصلاة المفروضة، فليت شعري ما الحال مع النوافل؟؟!!!

إن المؤمن السالك إلى ربه، الراغب فيما عنده، الراجي عفوه، المتطلع إلى القرب منه والأنس به ونيل رضوانه، لا سبيل له إلى كل ذلك إلا إذا جعل الصلاة قرة عينه، وسلوة نفسه، ومحل أنسه، وجنته التي يستظل بظلالها الوارفة، ويستنشق عبيرها الأخاذ، ويحيي نسيمها منه القلب والفؤاد.

قال بعض السلف : "إذا أردت أن تصل إلى منزلك الأول، فعرج على وادي المتهجدين فإن القافلة تمر من هناك".

ولعل وقوف النبي ﷺ في محرابه يناجي ربه حتى تفطرت قدماه، مع ما كان يضطلع به من أعباء ومسؤوليات خير دليل على أهمية الصلاة للسالك.

وقد وعى الدرس الفاروق عمر رضي الله عنه. فقال للذي استغرب قلة نومه، وكثرة صلاته : "إذا نمت النهار أضعت رعيتي، وإذا نمْتُ الليل أضعت نفسي". وسار علَى هديهما السلف فكانوا شامة بين الناس، وأقبلوا على الصلاة، واستمتعوا بها، واتخذوها وسيلتهم إلى الدخول على مولاهم.

يقول ثابت البناني رحمه الله :"كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم استمتعت بها عشرين سنة".

ويقول محمد الحمصي : "رأيت ابن أبي الحواري، فما صلى الفريضة قام يصلي فاستفتح ب "الحمد لله" إلى قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فطفت حول الكعبة كلها ثم رجعت، فإذا هو لم يتجاوزها، فلم يزل يرددها حتى أصبح).

فانظر أيها الحبيب إلى هذه النجوم المضيئة والكواكب المنيرة، وقل لنفسك :"سبقك الرجال يا مسكينة، حتى متى تتسكعين في درب الغفلة والبطالة، فهيا قومي وحثي الخطى، فمن سار على الدرب وصل.

وكل صلاة وأنتم من الله أقرب.

ذ. منير مغراوي

المرجو من الأستاذ منير أن يرسل إلينا بعنوانه الإلكتروني ورقم هاتفه.

الإجماع على ضرورة إنشاء "الأكاديمية الملكية للغة العربية"

تابع أشغال الندوة وأعد التقرير :
د. الطيب الوزاني

نظراً للقيمة الدينية للغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ولمكانتها التاريخية والحضارية والعلمية، ونظرا لما أصبحت تعانيه من تهميش مقصود أحيانا وغير مقصود أحيانا أخرى بسبب تزايد الهجوم عليها من قبل العاميات المغربية واللغات الأجنبية (الفرنسية خصوصا، والإنجليزية والإسبانية بالتبع) ومن قبل خصوم متعددين يركبون كل موجة تدميرية فنظرا لكل ذلك أصبح الوعي بضرورة تدارك الموقف والدفاع عن جبهة اللغة العربية أمراً ملحا، لما في هدمها من هدم للدين ولأخص مقومات هوية الأمة (اللغة والدين).

وانطلاقا من هذا الوعي بادرت جمعية الدفاع عن اللغة العربية بتنسيق مع جامعة سيدي محمد بن عبد الله وكلية الآداب فاس سايس، إلى تنظيم ندوة وطنية عن "دور المجتمع المدني في حماية اللغة العربية بالمغرب" شارك فيها ثلة من العلماء والمهتمين والغيورين على واقع اللغة العربية.

وقد تنوعت محاور الندوة لتشمل كثيراً من مكونات وشرائح المجتمع المدني المغربي المعنية بالشأن اللغوي المغربي وخاصة اللغة العربية، من أحزاب وهيآت علمية ومدنية، وإعلاميين وأساتذة جامعيين.

وقد ركزت مداخلات الجلسة الافتتاحية التي حضرها مجموعة من الشخصيات البارزة أمثال الدكتور عباس الجراري، والعلامة عبد الحي عمور ونائب عمدة فاس ورئيس جمعية حماية اللغة العربية ورئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله على أهمية اللغة العربية في تشكيل ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها والدور المنوط بالشعوب في التعريف بهوياتها ومقوماتها والدفاع عنها، وأن اللغة العربية في تاريخ المغرب شكلت مقوما جوهريا يلزم التشبث به وعدم التفريط فيه لأنه تفريط في ثوابت الأمة.

أما جلسات اليوم الثاني وعروضه فقد ركزت على عدة قضايا أهمها :

أولا : الجانب التاريخي :

في هذا الجانب قدم الدكتور عبد الوهاب التازي سعود عرضا عن "اللغة العربية لغة الديبلوماسية المغربية عبر العصور"، بين فيه أن **الديبلوماسية المغربية في تاريخها اعتمدت على اللغة العربية في مراسلاتها لملوك أوروبا وباباوات الكنيسة، من قبل حكام مغاربة عربا وأمازيغ**، كما بين الأستاذ محمد بلبشير مؤسس شعبة الدراسات الإسلامية في مداخلة عنواها "قضية اللغة العربية في مشروع الحركة الوطنية" حضور اللغة العربية والدفاع عنها في مشاريع رجالات الحركة الوطنية أحزابا وعلماء وزوايا وأعلاماً كما بين دور رواد الحركة الوطنية في مقاومة الظهير البربري، وتتبع جانب الاهتمام باللغة العربية تعليما ونشرا وعناية بين مرحلتي الاستعمار والاستقلال، **ولاحظ أنه إذا كانت مرحلة الاستعمار تميزت بروح المقاومة والكفاح والعمل من أجل تثبيت اللغة العربية ومقومات الهوية المغربية فإن مرحلة الاستقلال تميزت بقلة الإنجازات وكثرة الإخفاقات في تحقيق التعريب ومواجهة التغريب الذي لا يزداد إلا قوة مما يعني ضرورة حمل رسالة الحركة الوطنية من جديد**، وتتميما للجانب التاريخي للغة العربية في المجتمع المغربي، قدم الدكتور عبد الرحمان بنعمرو دراسة عن الوضع القانوني للغة العربية في تاريخ الدولة المغربية **أبرز فيه المفارقة بين المكانة السامية التي منحها المشرع المغربي للغة العربية في الدستور والتشريعات التفصيلية بين الخروقات العملية في الواقع والممارسة، تلك الخروقات التي أفضت إلى الواقع المأساوي للغة العربية حاليا، وأكد أن تاريخ المغرب تميز باستمرار بأنه تاريخ الحفاظ على الهوية اللغوية في علاقاته الدولية، وأن تدهور مقام اللغة العربية راجع إلى ضعف الإرادة السياسية في الدفاع عن هذه اللغة وتفعيل القوانين القاضية بالتعريب إداريا وتعليميا وقضائيا، وعلى مستوى البرلمان.**

كما استعرض مشاريع التعريب في مرحلة ما بعد الاستقلال لدى الأحزاب وازدياد تراجعها.

وتتميما للحديث عن مسألة حضور "اللغة العربية في برامج الأحزاب السياسية" وتوسيعا له، تناول الأستاذ عمرو لمزرع من كلية الحقوق بفاس هذا الموضوع في شقين بين في الأول طبيعة العمل الحزبي وازدواجية اللغة مستعرضا وظائف الأحزاب في الممارسة السياسية داخل أي مجتمع، ومركزاً أيضا على **مفهوم البرنامج السياسي للحزب وأنه بمثابة عقد وعهد وميثاق بين الحزب والمواطنين، ويمثل أداة تواصل وإقناع، وأداة تقويم وتصحيح لعمل الحزب كما يشكل البرنامج خطة دقيقة لتنظيم المجتمع وتأطيره أخلاقيا وسياسيا وتأهيل المواطنين للانخراط في بناء المجتمع.**

غير أن الشق الثاني بين فيه المفارقة بين الوظائف النظرية للأحزاب وبين واقع الممارسة الحزبية، ليدلف إلى تناول حضور المسألة اللغوية في عمل الأحزاب المغربية ليؤكد أن هذه **الأحزاب لم تقم بما يكفي للضغط على الحكومة من أجل تفعيل قوانين التعريب والحفاظ على الهوية المغربية وذلك راجع إلى ضعف حضور ملف اللغة العربية في برامج الأحزاب السياسية، وهو حضور يزداد ضعفا بين مرحلة بداية الاستقلال إلى اليوم، بدليل ازدياد خطر الفرنكوفونية والعاميات على اللغة العربية مما يستدعي مراجعة شاملة واستنهاض الهمم لتحمل المسؤولية الجماعية في حماية اللغة العربية وحماية الهوية والتراث، ومادام الحزب من أهم المؤسسات السياسية والمدنية، فيتحتم تصحيح وضعية تعامل المشهد الحزبي مع المسالة اللغوية ومقومات الأمة.**

ثانيا : دور مؤسسات المجتمع المدني :

كان من أهم أهداف ومقاصد الندوة إبراز دور مؤسسات المجتمع المدني في حماية اللغة العربية، وهكذا تناول بعض المشاركين هذا الجانب، فأبرز الدكتور مصطفى بنحمزة عضو المجلس العلمي الأعلى، والمجلس العلمي المحلي لمدينة وجدة دور العلماء في حماية اللغة العربية قديما وحديثا مبينا أن هذا الدور يدخل في صميم مهامهم العلمية في نشر الدين وفهمه، ومظاهر خدمة العلماء للغة العربية واسعة ومتعددة سواء في مجال تقعيد قواعدها الصرفية والمعجمية والبلاغية، أو في مجال تعميمها وتدريسها ونشرها، وفي هذا المجال **بين تهافت الدعاوى المغرضة لفصل اللغة العربية عن الدين الإسلامي، أو دعاوى استبدالها والاستغناء عنها، أو دعاوى ربط العربية بالبعد القومي، ودعاوى تناقضها مع العاميات، مشيرا إلى أن اللغة العربية لغة توحيد جامعة للأمة، ولغة دينية لا أثر فيها للقومية والعرقية، ولا يصح استبدالها لما في ذلك من مقدمات ممهدات للقضاء على أهم مقو مات الأمة التي هي اللغة والدين.**

وفي نفس السياق سارت مداخلة العلامة عبد الحي عمور رئيس المجلس العلمي المحلي بفاس، **مركزا على علاقة اللغة العربية بالهوية مبينا أن هوية أي أمة هي مجموعة ثوابت وحقائق وأصول لا تتغير وتفصح عن ماهية الأمة كما تفصح البصمة عن ماهية الفرد، كما أن الهوية عبارة عن التراث المشترك والثابت للأمة، يميزها عن غيرها ويساعدها على الحفاظ على مقوماتها من الذوبان والانصهار في غيرها من الأمم، واللغة هي أحد المقومات الجوهرية لهوية أي أمة، لأن اللغة هي الوعاء الذي تخزن فيه الأمة معتقداتها وثقافتها وتنغرز في وجدان الأفراد وتشكل بعد ذلك صلة وصل وتواصل بين المجتمع وأفراده، وبين الأفراد وتاريخهم، لذلك فإن التفريط في لغة الأمة تفريط في هويتها وأحد أهم مقوماتها الجوهرية ومن هذه المنطلقات اعتبر الدكتور عبد الحي عمور أن اللغة العربية مكون رئيس وجوهري للأمة الاسلامية لأنها لغة الوحي والتعبد، وبها دُوِّنَ التراث وعلوم فَهْمِ هذا الوحي وصارت بذلك من لوازم الهوية والتراث الإسلاميين وليس هذا فحسب بل إن اللغة العربية شرط في فهم الدين ومقاصده ولا يصح تجاوز اللغة العربية لأنها لغة الشارع الحكيم، كما بين أن قوة اللغة العربية ارتبطت بقوة الأمة الإسلامية، طردا وعكسا، واستعرض في المقابل حملات التشويه والكراهية والعداء من قبل الحداثيين خصوم هذه اللغة و الدين من دعوات لنزع القداسة عن الدين واللغة إلى دعوات عامية مغرضة إلى دعوات فرنكوفونية بدعوى التحديث والمعاصرة والعلمية... وخلص إلى القول بأن الاختلاف والتعدد اللغوي الذي صار المغرب المعاصر يشهده لا ينبغي أن يستغل وسيلة للتمزيق والتفتيت والطائفية بل ينبغي أن يستثمر كعامل قوة وتوحد، واللغة العربية عامل توحيد وجمع، وأن على أبناء الأمة ومسؤوليها الوعي بخطورة المنعطف التي أصبحت تمر به الأمة لغة ودينا وضرورة التدخل من أجل حماية هوية الأمة وأكد أن عماية اللغة العربية مسؤولية جميع أبناء هذه الأمة ومسؤوليها.**

ومن جانب آخر بين الأستاذ أحمد الموساوي "دور مؤسسات المجتمع المدني في التمكين للغة العربية بالمغرب" مبرزا التحديات التي تواجهها هذه اللغة، من استعمار وآثاره (الفرنسية/الإسبانية/الإنجليزية) إلى تحدي العامية وازدياد انتشارها في الإعلام، إلى توسع الجهل وضعف تعميم تعليم اللغة العربية ودعمه، لافتا الانتباه إلى **ضرورة تدارك الموقف وتحمل المسؤولية من قبل كافة مؤسسات المجتمع المدني وضرورة التنسيق مع كافة المعنيين بالشأن اللغوي المغربي، وفتح قنوات الحوار.**

وفي إطار إبراز دور مؤسسات المجتمع المدني تناول الدكتور محمد عبد الوهاب العَلاّلي "دور الإعلام في دعم اللغة العربية" مؤكدا منذ البداية على دور الإعلام الخطير من الهدم أو البناء، و**أن الإعلام العربي عامة والمغربي خاصة يتسم بغلبة الخطاب اللغوي العامي والأجنبي وغياب استراتيجية لغوية لدعم اللغة العربية وحمايتها، كما أكد أن قوة اللغة مرتبطة بقوة السلطة التي تحميها وبقوة إيمان مستعمليها، وقوة تشبثهم بها، مستدلا على الحالة المغربية التي عانت فيها اللغة المغربية من تراجع دعم الدولة وتخلي أبنائها عن الحفاظ عليها والتشبث بها، وأن السبيل الحقيقي لدعم اللغة ينطلق من الدولة والإعلام وجميع مؤسسات المجتمع المدني من قضاء وإدارة وتعليم.**

ومن هذه النقطة الأخيرة انطلقت مداخلة الأستاذ عبد الواحد بن صبيح ليتناول مسألة حضور "اللغة العربية في المنظومة التعليمية" سالكا منهجا تاريخيا توثيقيا ابتدأه بعرض حضور اللغة العربية في مقررات التعليم المغربي منذ بداية الاستقلال إلى اليوم ليخلص إلى **تراجع المطالبة بالتعريب وتعميم العربية لدى الدولة والأحزاب، في مقابل تزايد حجم حضور اللغات الأجنبية، وتوقف مسلسل التعريب في الجامعات المغربية، وتراجع حصص اللغة العربية في التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، وهذا ما دفعه إلى دق ناقوس الخطر معتبراً أن الأمن القومي لأي بلد رهين بتحقيق الأمن اللغوي، وأن اضطراب الأمن اللغوي موذن باضطراب الأمن القومي، لذلك يحتاج الأمر إلى تدخل عاجل لتقويم الموقف وتصحيح المسار المنحدر والعودة بالأمة ومكوناتها إلى إعادة الاعتبار للغة العربية.**

كما تناول الدكتور علي لغزيوي محافظ خزانة القرويين سابقا وعضو المجلس العلمي المحلي لصفرو تشخيصا لواقع اللغة العربية وتحديداً لمجمل العوائق والمفارقات وسبل تجاوزها في سبيل دعم اللغة العربية وتقوية وجودها مؤكداً على دور المجتمع المدني المغربي في الاعتزاز باللغة ودعمها.

وختاما فإن الندوة استطاعت أن تجمع مؤسسات المجتمع المدني بتنوع أطيافها على موقف موحد من اللغة العربية لتدق ناقوس الخطر وتنبه على خطورة التمادي في إهمال اللغة العربية والسكوت عن جريمة إبعادها وإقصائها وجريمة الخدش في هوية الأمة لهذا جاءت توصيات الندوة متضمنة لمقترحات دعم العربية وحمايتها سواء بتفعيل القوانين القاضية بترسيم اللغة العربية أو تعريب الإدارة والتعليم أو مواصلة دعم اللغة العربية في التعليم والإعلام وتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني والسياسي (جمعيات/أحزاب/برلمان..) وأهم ما أسفرت عنه التوصيات هو الإجماع على ضرورة تأسيس "أكاديمية ملكية للغة العربية" تعنى بشأن اللغة العربية تشريعا وإعلاما وتعليما وتوسيعا.

فإلى أي حد يمكن للمجتمع المدني أن يحمي لغته من غير تفاعل القرار السياسي، والاجتماعي؟ وإلى متى تظل حماية اللغة العربية قاصرة على الندوات ومطالب بعض الجمعيات؟ ألم يحن الوقت بعد للانتقال إلى العمل والتنفيذ؟

''مقتضيات التواصل في المناظرة : بحث في الأسس والتحققات الإجرائية''

رسالة دكتوراه للأستاذ : العياشي إدراوي

بتاريخ 8 يوليوز 2009، بوحدة "اللسانيات التطبيقية وتكنولوجيا المعلوميات والتواصل" بكلية الآداب جامعة المولى اسماعيل بمكناسة الزيتون، تقدم الطالب العياشي إدراوي بأطروحته السالف عنوانها، وقد منحت اللجنة العلمية المكونة من السادة الأساتذة : عبد النبي الدكير مشرفا ومقررا، وعز الدين البوشيخي رئيساً، ومحمد الينبعي وبلقاسم البيومي ومحمد عبد الحق حنشي، وعبد العزيز العماري أعضاء، الباحث درجة الدكتوراه بميزة مشرف جدا، مع الإشادة بالمستوى العلمي للأطروحة.

وفيما يلي ملخص التقرير الذي تقدم به الأستاذ الباحث بين يدي اللجنة العلمية :

1- التصور العام للرسالة : ينطلق تصور الباحث من دعوى مفادها أن المناظرة من حيث كونها ممارسة حوارية تراثية وحواراً نقديا لم تكن فقط منهجا أصيلا للتفكير، وطريقة للتأليف ومسلكا رئيسياً للبحث عن الحقيقة، وإنما مثلت أيضا أسلوبا تداوليا وتواصليا حجاجيا تداخل فيه البعد المنطقي واللغوي والمقامي والأخلاقي، لذلك فإن الباحث يؤسس تصوره على ضرورة إعادة قراءة مفهوم المناظرة التراثي على أسس تداولية تواصلية، ومنطلقات فلسفية لغوية، من التراث العربي ومن نتائج الدرس اللساني الحجاجي والتداولي والتواصلي المعاصر.

2- العلل الثاوية خلف اختيار الموضوع وأهدافه : يجمل الباحث أهم العلل التي دفعت به إلى البحث في هذا الموضوع هو قيمة أهدافه وغاياته التي يمكن حصرها في :

- أهمية إعادة النظر في مفهوم المناظرة صوريا ووظيفيا وبيان أهمية ربطه بتداوليات التخاطب المعاصر.
- تبيان القيمة العلمية والمنهجية الكبرى للإسهام العربي في تأسيس فعل المناظرة على أبعاد منطقية عقلية، وتواصلية أخلاقية، وتداولية مقامية، أمكن معها اعتباره (فعل المناظرة) نموذجا في الالتزام بالضوابط التبليغية والتهذيبية يسمح بالقول إنه يشكل "نظرية عربية تراثية في التواصل" متكاملة.
- التنبيه إلى أهمية اعتماد أساليب المناظرة ومنهجها في المجال التعليمي بفعل ما تزخر به هذه الأساليب من تعدد في صور التفاعل الكلامي، وتنوع في سبل الادعاء والاعتراض والتفاوض، وغنى في مسالك الاستدلال والحجاج يؤهل متعلمينا لاكتساب آليات بناء المعارف بتشارك فعال وأخلاقي مع المخالف بعيداً عن كل مظاهر السلبية والتقليد والتلقين.
- إبراز فعالية المنهج التداولي المعاصر في قراءة التراث وإمكان اعتماده مسلكا ملائما من بين مسالك قراءة التراث، وكونه أيضا أداة ناجعة من أدوات فهمه وتأويله واستثماره، من خلال استحضار آليات المنهج التداولي وأسسه، وتوظيف نتائج الدرسين اللساني والحجاجي الحديثين.

3- المنهج المعتمد في الأطروحة : إن بحثا من هذا الحجم المعرفي والتاريخي الدائر بين حقلين عربي تراثي وغربي حديث استلزم اعتماد منهج يجمع بين الوصف أحيانا والتحليل أحيانا أخرى، والمقارنة أحيانا ثالثة، كما أنه منهج استدعى التسلح بأساليب فحص المفاهيم والنماذج والافتراضات من أجل إثبات وتقرير ما هو صالح وملائم، أو نقض وإبطال ما ليس كذلك، كما استعان بمساكل منهجية تروم التنظير التأصيلي، والوصف التحليلي، والتقويم التحصيلي، فجاءت أطروحته في مقدمة وخاتمة تتوسطهما خمسة فصول :

- الفصل الأول لمعالجة قضايا المصطلح في مجال المناظرة تعريفاً وإجراء ومساراً تاريخيا وتمييزا لها عن مصطلح الجدل، وبيانا لمكوناتها وأفعالها.
- الفصل الثاني لمعالجة مستلزمات التنظيم الداخلي والخارجي للمنظارة : فداخليا تم بيان ما يلزم في بناء المعرفة حفظا ودفعا على مستوى التعريف والتقسيم والتصديق وما يلزم كلاً من المدعي والمعترض من شروط لغوية ومنطقية ومنهجية، وخاريجا ما يلزم من شروط أخلاقية وتهذيبية محيطة بفعل المناظرة وأجوائه.
- الفصل الثالث : "المنطق الحجاجي للمناظرة" سعى إلى تأصيل فعل المناظرة ووصلها بالمنطق الطبيعي وبيان قوة ترابط فعل المناظرة بمقومات الدرس الحجاجي والتداولي الحديث.
- الفصل الرابع : "نحو توسيع مفهوم المناظرة" استهدف إعادة النظر في مفهوم المناظرة وتطويره و تحويره وفق التصور التداولي والمنطق التحويلي من خلال مفهوم "المناظرة البعيدة" من جانب نظري و آخر تطبيقي عرض نماذج تطبيقية في الفكر الفلسفي العربي المعاصر، (عابد الجابري وعبد الله العروي -طه عبد الرحمان وعابد الجابري، علي حرب و طه عبد الرحمان).
- الفصل الخامس : "نماذج تطبيقية للمناظرة التراثية" استهدف تحليل نماذج من المناظرة التراثية استوعبت نموذج المناظرة اللغوية (مناظرة السيرافي ومتى بن يونس)، ونموذج المناظرة الفلسفية (مناظرة بين الحكمة والشريعة) ونموذج المناظرة الأصولية (مناظرة بين الفخر الرازي وأهل بخاري حول القياس).

4- نتائج البحث وآفاقه : من أهم ما توصل إليه الباحث :

- إن المناظرة من حيث هي فعل منطقي تحاوري هي مسلك تعاوني استدلالي مقامي غايته بناء معرفة موضوعية لا نسبية كما يعتقدها الطرفان.
- إن المناظرة بالإضافة إلى كونها ممارسة حوارية تراثية فقد أكدت فعاليتها كمنهج تعليمي ناجع يمكن الاستفادة منه في وضع مناهج تعليمية وظيفية وتواصلية ونفعية.
- إن المناظرة من حيث هي بناء عقلي منطقي وأفعال كلامية تواصلية مثلت أرقى مراتب التحاور يمكن اعتبارها ألصق وأوثق صلة بعلم التحاور الحجاجي، لكونها أثبتت قدرتها التنافسية في حقل الدراسات اللسانية والتخاطبية خاصة في مجالي التداوليات ومنطق الحجاج والحوار، لذلك صح وصلها بهما، وفتح آفاقها على هذين الدرسين لأن المناظرة التراثية "مثلت درسا تداوليا حجاجيا سابقا لأوانه".
- إن الكشف عن الأبعاد التداولية للمناظرة في التراث فكراً وممارسة، وعلما وعملا، يساعدنا في تبني منهج القراءة التداولية للتراث، واعتبار هذا المنهج أهم مناهج القراءة التراثية وأقربها إلى تأصيل "فلسفة تداولية عربية" منسجمة مع مقتضيات التداول العربي الإسلامي، ومستفيدة بشكل إيجابي من نتائج الدرس اللغوي والمنطقي المعاصر في بعديه التداولي والحجاجي.

بِنَبْضِ القلب

الرقص على الجراح

حقا، إن شر البلية ما يضحك، لا أعرف لماذا أتذكر حكاية الصرار والنملة، كلما حل موسم الأمطار ببلدنا، وتكررت معه الكوارث في أكثر من منطقة، ثم لماذا لا تتخذ الجهات المسؤولة كامل احتياطاتها لمواجهة هذه النازلة والاستعداد لها بكل ما تملكه من قدرات تفاديا لوقوع خسائر وضحايا نحن في غنى عنها؟؟..

لكن بدل أن تجيب نُخَبُنا المسؤولة عن هذه الأسئلة البسيطة، نجدها تشحذ هممها وتعقد اللقاءات المراطونية وتعد الميزانيات الخيالية لاستقبال موسم الصيف وما يتطلبه من مهرجانات وتبذير لأموال هذا الشعب الطيب... أعرف أن كلامي هذا سيجر علي غضب دعاة الحداثة الذين لا يفقهون الواقع المر الذي يحياه الإنسان المغربي، وسوف ينعتونني بعدو الفن والفنانين... لكني مصر على قول ما يختلج في صدري لاسيما وأنا أرى سكان منطقة الغرب وقد دمرت ممتلكاتهم وهاجروا قراهم ويعيشون في شبه عزلة عن العالم الخارجي، ينتظرون بشغف المروحيات وهي تلقي إليهم ببعض الطعام والكساء، في الوقت الذي رصدت فيه الحكومة أكثر من 27 مليون درهم لمهرجان موازين الذي يصادف دوما فترة الاستعدادات للامتحانات الجامعية والثانوية، فما ضر الحكومة ومجتمع الحداثة لو أنهم تخلوا عن هذه المهرجانات في هذه السنة وتبرعوا بأموالها لهؤلاء المنكوبين، أليس من العيب أن تتخلى الحكومة البريطانية عن إقامة معرض لندن الدولي للسيارات المزمع تنظيمه سنة 2010م، لمواجهة تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية، وتقلص نسبة 20٪ من الأجور العليا، في الوقت الذي تستمر فيه حكومتنا في تبذير أموالنا بلا حسيب أو رقيب على مهرجانات فارغة المحتوى لا تعود على الشعب بأية فائدة... إننا من موقع المسؤولية التاريخية التي يحملها كل مواطن غيور، وكل مثقف يحمل هموم وطنه، نسائل الحكومة عن الفائدة التي تجلبها لنا هذه المهرجانات، اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، وأن تدلي ببيانات وأرقام عقب اختتام كل مهرجان، فمن حقنا نحن الذين تلهبنا سياط الحكومة بالزيادات في المواد الغذائية وبالاقتطاع من أجورنا وبفرض الضرائب علينا، والتي نؤديها عن طيب خاطر من أجل وطننا، أن نعرف كيف تستثمر حكومتنا كل هذه الأموال؟؟...

■ **ملحوظة :** أعرف مسبقا أن الحكومة لن ترد على أسئلة فضولي مثلي لأنها مشغولة في رصد الميزانيات الضخمة استقبالا لصيف مغربي حارق... فعلا إنه رقص على الجراح.

ذ. أحمد الأشهب

السيدة آمنة شهرمان في ذمة الله

انتقلت إلى عفو الله ورحمته السيدة آمنة شهرمان زوجة الأستاذ عبد العزيز مصباح صبيحة يوم الإثنين فاتح مارس بعد مرض عضال ألم بها.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة الجريدة بأحر التعازي إلى السيد عبد العزيز مصباح وإلى الحاج عبد الله مصباح والأستاذ المصطفى مصباح والدكتور الحسن مصباح وكافة أفراد العائلة، راجين الله أن يتغمد المرحومة بواسع غفرانه ويقابلها بكريم إحسانه، وأن يرزق ذويها زوجا وعائلة الصبر والسلوان.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

إصدارات

صدر العدد الأخير من مجلة الأصيلة التي تعنى بشؤون الأسرة المسلمة ومن أهم محاوره :

- نظرات في المسألة النسائية للدكتور الشاهد البوشيخي.
- الأسرة والمرأة بين الحضارات الإنسانية والإسلامية للدكتور محمد منفعة.
- الأسرة والتحولات القيمية للدكتور سمير بودينار.
- دور المرأة في البناء التنموي للأستاذة نجاة المديوني.

فمزيدا من التوفيق للمجلة

حول نهاية التاريخ

أ. د. عماد الدين خليل

يتساءل المثقف المعاصر وهو يجد نفسه قبالة معطيات جديدة في فلسفة التاريخ وتفسيره وبخاصة نظرية " نهاية التاريخ ".. هل أن التاريخ -فعلاً- إلى انتهاء ؟

للإجابة على السؤال نجد أنفسنا قبالة المدلول اللغوي والاصطلاحي للعبارة إياها..

فعلى المستوى الأوّل تعني في المنظور الديني عموماً نهاية الحياة الدنيا والتهيؤ ليوم الحساب، وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله سبحانه.. فالساعة التي هي نهاية التاريخ بهذا المفهوم ﴿لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو﴾ سبحانه كما يشير القرآن الكريم في أكثر من مكان. وكل محاولة للتكهن بالوقائع المستقبلية لا تعدو أن تكون ضرباً من الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً. وإن كان التغيّر التاريخي والتبدّل الاجتماعي مبنيين على معطيات محدّدة ترتبط بالفرد والجماعة وتسمح بقدر من التعليل العلمي للحركة التاريخية ومصائرها. هذا إلى أن الرسول ﷺ قدّم في أحاديثه الشريفة شبكة من العلامات التي ترتبط زمنياً بنهاية التاريخ فيما يعرف بأشراط الساعة الصغرى والكبرى، والملاحم والفتن، والتي تعين الإنسان في مرحلة تاريخية قادمة على ترتيب توقعّاته بخصوص هذه النهاية.

أما على المستوى الاصطلاحي فإن الجواب يقودنا إلى نظرية فرنسيس فوكوياما حول (نهاية التاريخ) التي تتزامن لسبب أو آخر مع المتغيّرات السياسية والإيديولوجية في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي، وتفرّد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم وفق مبدأ القطبية الواحدة، فيما يعرف بالنظام العالمي الموحّد أو الجديد. ولعلّها تتزامن كذلك مع سياسات (التطبيع) التي يراد منها تدمير الحاجز النفسي والثقافي والعقدي بيننا وبين إسرائيل تحت مظلة عالم موحّد تنسلخ فيه كل أمة عن تاريخها وتنتمي لمقولات التنمية الاقتصادية، والرفاهية المادية، ومنطق التكاثر بالأشياء وارتفاع معدّلات النموّ.. وهي حالة، أو معادلة، مكتوب علينا فيها نحن العرب والمسلمين أن نخرج منهزمين وأن نسلّم مصائرنا لأمريكا والصهيونية تصوغانها كما تشاءان.

إن انسلاخنا عن تاريخنا بحجّة "نهاية التاريخ" سينطوي بالضرورة على تخلّينا عن مقوّماتنا، بما فيها خصائصنا العقدية، والانخراط في نظام استلابي يأخذ بأعنّته ويحصد زرعه وضرعه الأمريكان واليهود.

وعلى ذلك يصعب التسليم بمقولات فوكو ياما حول نهاية التاريخ، لأنها تنطوي على الكثير من الخطأ على المستويين الذاتي والموضوعي.. والخطأ - كما يقول السياسي الفرنسي تاليران : أكبر من الجريمة، وسنكون مجرمين بحق أنفسنا إن سلّمنا بمعطيات كهذه.

من جهة أخرى، فإن مما هو معروف لدى دارسي التاريخ والحضارات، استحالة خضوع التاريخ لنمطية واحدة.. فليس ثمة ثبات أو سكون تاريخي على الإطلاق، وقد ثبت بطلانه يوم حاولت النبوءات الماركسية أن تقود التاريخ إلى نهايته تحت مظلة حكم (البروليتاريا).. والقرآن الكريم بواقعيته المعجزة يرفض هذا "التأحيد" ويقول : ﴿ولا يزالون مختلفين -إلاّ من رحم ربك- ولذلك خلقهم﴾ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض..﴾. فالاختلاف والتغاير سنة من سنن الله في التاريخ، وهو في الوقت نفسه ضرورة من ضرورات تحريك الحياة.

فنهاية التاريخ بهذه الصورة النمطية السكونية، ووضع البشرية كلّها في خانة واحدة، أمر لا ينسجم مع مطالب العلم ولا مقاصد الدين.

بارقة

وفي السماء رزقُكم لا في الكنيسة الأجل بيد الله لا بيد الطب

د. عبد السلام الهراس

واقعتان جديرتان بالتسجيل والقراءة والاعتبار.

أما الأولى فتتعلق بسائحين من أوربا: رجل وامرأته طافا بدراجتيهما جل المعمور وساقتهما الأقدار إلى المغرب وقد اختلطا بالمغاربة في الأسواق والمتاجر حتى ربطا علاقة تعارف وصداقة ببعض الإخوة بفاس، وكانت المرأة تتكلم اللغة الإنجليزية مع شيء من الإسبانية، وبذلك الشيء اليسير من وسيلة التعارف والتفاهم استطاع أخ فاضل أو إخوة أن ينفذوا إلى قلبيهما بحسن خلقهم وكرمهم وتطوعهم لخدمتهما وقد زاروا بهما مَنْ ظنوا أنه أقدر على التفاهم معهما واجتمع معهما نفر قليل من أساتذة الجامعة فكان التفاهم أكثر من خلال بعض اللغات الأوربية، وكان الحديث يدور حول الإسلام انطلاقا من توحيد الله والإقرار بنبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ والإيمان بجميع الأنبياء والرسل الواردة في الكتاب والسنة ومنهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى فمن لا يؤمن بهؤلاء الأنبياء فليس بمسلم بتاتا، ويجب أن نؤدي الفرائض ونطبق المعاملات الشرعية ونتحلى بالأخلاق الإسلامية ومع هذا البيان المجمل بقيت القلوب بعيدة عن رعشة التأثر والميل نحو الإيمان حتى هيأ الله لنا داعية صالحا وبليغا من بلد الزوجين نشأ نشأتهما وعاش مثل حياتهما وعانى معاناتهما وعرف حلو الحياة ومرها وهداه الله فأسلم وهو شاب في مقتبل العمر فأكب على القرآن الكريم وسرعان ما حفظه عن ظهر قلب وعاش في وسط إسلامي طاهر صالح فتشرَّب أخلاق الإسلام حتى صار إماما في بلده الأوربي يؤم بالمسلمين عربا وغير عرب ونال ثقة الجميع واحترامهم وآثر أن يتزوج مسلمة ويعيش معها في بلدها حتى ينشأ أبناؤه في جو إسلامي..

فلما اجتمع هذا الداعية الشاب الصالح مع الزوجين من بلده عرض عليهما الإسلام بسيطا نقيا موجزا مرتبطا بالله جل جلاله وبرسوله ﷺ من غير تعمق ولا تعقيد ولا بدَع ولا وسائط كنسية أو أشباهها، وكان هذا الداعية بَليغاً مؤثراً، جميل المظهر، نقي المخبر، صادق اللهجة، مشرق الطلعة، لا تفارقه ابتسامة طاهرة، ونظرات حانية نافذة، فاقتنع الزوجان، وكانت المرأة أشدّ اقتناعا وأعمقَ انجذاباً وأسرعَ استجابة لكنها تداركت قائلة للداعية لكنني أعمل أستاذة في كنيسة كاثوليكية وأخشى أن أُطرَد من عملي إذا علموا أنني أصبحت مسلمة. فأجابها بَلَديُّها الداعية قائلا: اسمعي يا أختي، إن الرزق ليس بيد الكنيسة وإنما هو بيد الله وتلا عليها بعض آيات من القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾(الذاريات 22/51). ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾(الطلاق 3/35).

فأجابت وقد انشرح صدرها:" إذن ما دام الرزق في السماء وبيد الله فأنا مقتنعة بالإسلام..." وفي صلاة العشاء منذ ثلاثة أسابيع: أعلنت المرأة وزوجها إسلامهما في مسجد صغير مبارك بعد صلاة المغرب

وأكرمني الله بحضور هذا المشهد المؤثر فازددت اقتناعا بأن الدعوة إلى الله في أوساط هؤلاء الغربيين تكون أجدى وأقوى إذا كان الدعاة إلى الله من جنسهم أو يتقن لغتهم ويفقه الإسلام ويحظى بأخلاق إسلامية مؤثرة مثل هذا الداعية الأوربي الصالح.

وتسمت المرأة باسم خديجة وتسمى الرجل باسم إبراهيم، ودعونا لهم بأن يرزقهما الله الذرية الصالحة فالرجاء أيها القارئ أن تقول: آمين إسهاما منك في فرحة هذه الأسرة المسلمة الجديدة.

وأما الواقعة الثانية: فإن أحد إخواننا الأحباء كُتبَ له أن يلتحق بالعمل في أوساط القارة الإفريقية فاضطَرّ أن يسافر إلى ذلك البلد ولم يتم الشهر الأول هنالك حتى اتصلت به أسرتُه تخبره بأن والده في مصَحّة بالمدينة التي يقطنها في حالة مَرضية صعبة ثم أخبروه أن والده يوجد في حالة غيبوبة تامة، وقد ركبوا له أجهزة التنفس وإنعاش القلب وغير ذلك، حتى أصبح على حافة الموت فاضطر الابن الصالح البار بوالده أن يعود إلى بلده ليجد والده في مرحلة حرجة من مرضه، وقد يئس الأطباء من شفائه فنصحوا الإبن بأن يرضى بقضاء الله الذي لا مَفَرَّ منه وصارحوه بالحقيقة الطبية أن والده في حالة موت حقيقي وإنما يعيش فقط بهذه الأجهزة ومن العبث أن يظل الرجل في هذه الحالة التي لا رجاء معها في الحياة لذلك نصحوه بأن ينقل والده إلى البيت في حالة الاحتضار أو الموت استعدادا لجنازته ودفنه، ومما قالوا له ليقنعوه: إننا بمجرد ما ننزَعُ عنه هذه الآلات سيلفظ أنفاسه لذلك ننصحكم التعجيل بنقله إلى البيت فلم يجد الإبن بدا إلا أن يوافق على نزع تلك الآلات، والاستسلام للمصير المحتوم الذي يتوقعه الأطباء، وقالوا له لا تُفاجأ بموت والدك بمجرد انتزاعنا هذه الآلات... فانتزعوها ولكن المفاجأة المذهلة أن الرجل والد أخينا لم يمت بل بقي النفس الطبيعي الرباني يعمل عمله فأخذوه إلى داره ووضعوه على سريره وذماء الروح ما يزال يتردد فيه وهذا الذماء أو بقية الروح صارت تنمو شيئا فشيئا حتى أصبح التنفس أحسن مما كان أيام الحرج من مرضه وهكذا استعاد الرجل تنفُّسه ثم وَعْيَه وبدأ يتحسن كل يوم... إنه لم يفارق فراش مرضه المزمن ولكن أعاد الله وعيه وتحسّن وضعه فأصبح في حالة طيبة قادرا على أداء فرضه من الصلاة يتحدث مع أهله وأولاده وأحفاده، وهكذا خيب الله علم الأطباء وتبين قصورهم وثقتهم في الطب ثقة عمياء... وهذا يذكرني بأستاذ فرنسي في الطب كبير كان يعالج سيدة مغربية وقد أحست منه أن مرضها عضال لا أمل في التخلص منه فسألته: ألا يوجد أمل في الشفاء، فأجابها وكان يهوديا بقوله: إن الأمل في الشفاء لا ينقطع والأعمار ليست بيدنا، فاتجهت السيدة إلى بيت الله وبعد أيام وأسابيع من العبادة والتضرع إلى الله وشرب ماء زمزم شعرت باختفاء تلك الأورام الخبيثة وعادت إلى طبيبها ليفحصها فحصا دقيقا ليجد أن الله سبحانه وتعالى قد شفاها شفاء تاما فألفت كتابها الرائع "لا تنس الله".

أما قصة شيخ الدعاة إلى الله أخي ورفيق دربي أكثر من أربعين سنة في الدعوة إلى الله في ظروف صعبة، وأوساط صُلبة، ونوايا مضطربة، ونفسيات مرتبكة، فقد حلَّ به مرض مُضْنٍ وسمعتُ عند عيادته، مع إخوة بررة، طبيباً يقول لبناته الفضليات: إن حالة الفقيه حرجة جدا والأمل ضعيف فأخذه إخوانه بعد يومين وبعض أبناء أصدقائه الأوفياء القدماء إلى طبيب نطاس مؤمن... فعرض لهذا الطبيب الصالح سفر وإذا بطبيب آخر يقول لنا خذوا الفقيه ليموت في بيته فليس بينه وبين الموت إلا ساعات قليلة، وإذا بالطبيب الكبير يُتَلْفِنُ من الخارج ويوصي طبيبا من خيرة طلابه بأن يزيده الدم ويعطيه الأدوية الفلانية، فإذا بالفقيه ينتعش ثم يخرج من سرير المستشفى ليعيش بعد ذلك أكثر من أربع سنوات وتوفي رحمه الله عن عمر يزيد على التسعين بثلاث سنوات هجرية، وهكذا خاب الرأي المتعجل الذي ظن أن الأعمار بيد الطب....